

2^{me} Année, No. 55.

Lundi-23-7-1934

بدل الاشتراك عن سنة

الرسالة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

*

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

٤٢٣٩٠

تليفون رقم ٤٠٥٣٠

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

*

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

obeykandl.com

الذكرى

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

*

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

*

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية

« القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٤ »

العدد ٥٥

مناسبة ذكرى حافظ

بين السياسة والأدب

ينظر الأدب المصرى اليوم الى السياسة نظر المغيظ الخانق
لطغيان جلالها على جلاله ، وعدوان سلطانها على استقلاله ، وعبث
أهلها بأقدار أهلها عبث الهوى المتحكم بقوانين العدالة !
شهد الأدب فى هذه الأيام جنازة سياسية لمرقص حنا باشا ، وجنازة
أدبية لأحمد زكى باشا ، وسمع بذكري سياسية لسينوت حنا بك ،
وذكري أدبية لحافظ ابراهيم بك ؛ فأما الجنازة السياسية والذكري
السياسية فكانتا مظهرين من مظاهر الوطنية الرائعة ، ومظاهرتين
من مظاهرات القومية المتحدة ، شملت البلاد ، وشغلت الصحف ،
وأرهفت الشعور ، وأرهبت الحكومة ، ونفست عن العاطفة
العامة المكروبة ؛ وأما الجنازة الأدبية والذكري الأدبية فكانتا
شاهدين على هذا التواضع المسكين الذى يصاحب العلم ، وأثرين لهذا
البؤس المهن الذى يلزم الأدب ، فشيع الأولى بعض الأصدقاء
وبعض الخاصة ، ونسى الثانية كل الأصدقاء وكل الخاصة ، ثم
تهامست بين الناس الشكاوى ، وتملقت من الأنصار المعاذير ،

فهرس العدد

صفحة	
١٢٠١	بين السياسة والأدب : احمد حسن الزيات
١٢٠٣	سمو الفقر : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٢٠٦	بين يدى شهر زاد : الأستاذ توفيق الحكيم
١٢٠٩	من روائع عصر الأحياء : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١٢١٢	الامتيازات الأجنبية : الأستاذ زكى دياب
١٢١٣	الذكرى : حسين شوقي
١٢١٤	محمد والعرب : وصفى قرنفلى
١٢١٥	لماذا أخفقت جمعية الأمم : للكاتب الانجليزى « ولز » ترجمة عبد القادر صالح
١٢١٦	كتاب نهج البلاغة : محمد محمد العازى
١٢١٨	العصور المظلمة : الأستاذ بشير الشريق
١٢١٩	الأفعال المفقودة أو الفلتات : الدكتور عبد الفتاح سلامه
١٢٢٣	محمد افندى أكل : المغفور له احمد تيمور باشا
١٢٢٦	تعالى (قصيدة) : أنور العطار
١٢٢٦	ليلة الزورق (قصيدة) : عبد العزيز عتيق
١٢٢٨	وقف على دار الامام (قصيدة) : الحاج محمد المراهوى
١٢٢٩	شاعر النيل : أحمد عثمان عبد المجيد
١٢٣٣	الشاعر الايطالى ليوباردى : الأستاذ خليل هندواى
١٢٣٥	تطور فكرة النظام الشمسى : فرح رفيدى
١٢٣٨	الهيكى العظمى (قصة) لطاغور : ترجمة حسن محمد محمود

والأدب في الحياة وفي الممات شر على صاحبه ، فإننا لا نزال نشهد كل يوم معارك الأهواء بين الأدباء الأحياء تقطع وشائج الصداقة ، وتختفي دلائل النبوغ ، وتزيف حقائق الفضل ، ثم لا تترك منهم للتاريخ إلا أشلاء منكورة من الأدب والفن والخلق . ولا نزال نسمع من يذكّر المنفلوطي بالسوء لأنه اصطنع الأدب الباكي ، كأنت للكاتب يدأ في تركيب مزاجه ، وتكوين بيئته ، وتأليف ظروفه ، وتثقيف ملكاته . كذلك لا نزال نسمع من يشدد النكير على شوقي لأنه عاجل في بعض عمره شعر المديح ، كأنه نشأ في ظل الدستور وعهد الديمقراطية وعصر الجماعة ، وكأنه كان يمدح عباساً لأن المتنبي كان يمدح سيف الدولة !

نعم كان أمس ذكرى حافظ ، وكان أول أمس ذكرى سينوت ! فهل رأيت بعينك وفاء السياسة وجحود الأدب ؟ إن حافظاً رحمه الله ما يزال يقتضى أصدقاءه الخللص حفلة التأين وتأليف الكتاب ، فهل من المعقول أن نطلب من شعبه المغلول إحياء الذكرى وإقامة التمثال ؟

ولقد كان من جرائر نحسه الذي ظل بعد موته حياً يعيث ، أن مواهبه السامية في الشعر والبلاغة قد أخذ ينالها النسيان وتشوهها الغفلة ، فما يذكركه الناس حين يذكرونه إلا بحلاوة النادرة وبراعة (النكتة) وحسن الحديث ، حتى خشينا أن يصبح في الخاصة ما أصبح أبو نواس في العامة . !

فَمَنْ مَبْلُغٌ حَافِظاً الصديق أن المودة بعده أصبحت لا تبقى على الحن ، ولا تقوى على الأهواء ، ولا تثبت للظروف ، ولا تتجاوز كذب الحياة إلى صدق الموت !

وَمَنْ مَبْلُغٌ حَافِظاً الأديب أن الأدب بعده أصبح داء كداء الضرائر ، تهيمن عليه المنافسة الكاذبة ، وتغض منه الحاسدة اللئيمة ، وتتحكم فيه الأغراض الحقيرة ؟

وَمَنْ مَبْلُغٌ حَافِظاً الفنان أن فنه الجميل سيبقى على لؤم الانسان وظلم الزمان ، رائعاً مراعاً الجمال ، ساطعاً ما سطعت الشمس ، خالداً ما دام هذا الخلود ؟ !

وتجاوبت في الأقطار الشقيقة أصداء الأسف ، ونعى كاتب سورية الكبير صاحب (فتى العرب) على مصر عقوق الأدباء وجحود العباقرة ؛ وليس الأمر في نظرنا مما يبعث الشكوى من السياسة ، ويثير السخط على الجمهور ، ويستوجب الملامة على مصر ، فإن السياسة تقوم بواجبها ، ولا تحول بين أحد وبين واجبه .

السياسة عقيدة ، والعقيدة تحييها الشعائر ، وتميها المظاهر ، ويقويها الحشد ، وينشرها الاعلان ، ويدعيمها التذكير ، وتجدها الدعاية .

والسياسة مبدأ ، وهذا المبدأ نفسه يريد أن يكرم في ذكرى الميت كما كان يكرم في وجود الحى ، وما حالات السياسى إلا مناسبات يهتف فيها بفكرته لا بصورته .

والسياسة جهاد ، والجهاد يدعو بتكريم البطولة الى البطولة ، وبتعظيم التضحية الى التضحية .

والسياسة حكومة وخصومة ، ومن حق السياسة المكبوتة أن تتلمس الحرية في كل فرصة ، وتنشق الراحة من كل فرجة ، والسياسة جاه وقوة ، ومن طبيعة النفوس أن تشايح الجاه وتبايع القوة ابتغاء لمنفعة أو اتقاء لمضرة

والسياسة بعد ذلك كله للشعب ، فرجالها زعماءه ، وضحاياها شهداؤه ، ومواقفها مواقفهم

أما الأدب فلا نصيب له من بعض ذلك ، ليس عقيدة للعامة ، ولا فكرة للأمة ، ولا ساحة للنفوس المجاهدة ، ولا مطمعة للعيون الرغبة ؛ إنما هو فن الخاصة وبغية الرجل المثقف ، فإذا لم يحتفل أهله بأهله ، وينوه جمهوره بفضله ، ذهب أثر رجاله من الدنيا كما تذهب أنغام موسيقى الجيش بعد المعركة ، ثم لا يبقى الفخر والذكر إلا للجند والقادة

الأدباء هم الملمومون على هذا العقوق ، والصحفيون هم المسؤولون عن هذا الأهمال ، وشهوة المنافسة وعداوة الحرفة ، هما اللتان تفسران البواعث على هذا والدوافع الى ذاك ؛ والأديب الذى ينفس على أخيه محنة الوجود ، يجد الأولى أن ينفس عليه نعمة الخلود ،

سمو الفقر

في المصلح الاجتماعي الاعظم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

- ٢ -

نفسه وهو مهين لها ؛ ألا رب مهين نفسه وهو مكرم لها «
وخَيْرَ صلى الله عليه وسلم أن يكون له مثل «أحد» ذهباً
فقال : لا يارب ، أجوع يوماً فأدعوك ، وأشبع يوماً فأحمدك .
وكان يقول في دعائه ويكثر منه : اللهم أحيى مسكيناً ، وأمتى
مسكيناً ، واحشرنى فى زمرة المساكين .

هذا هو سيد الأمة ، يمسكه فى الحياة نبياً عظيماً ما يخرج
غيره منها ذليلاً محتقراً ، وكأنما أشرق صفاء نفسه على تراب
الأرض فردّه أشعة نور ، على حين يلقى الناس على هذا التراب
من ظلام أنفسهم فلا يبقى تراباً ، بل يرجع ظلاماً ، فكأنهم
يطئون المجهول بخوفه وروعته ؛ ثم لا يستقر ظلاماً ، بل يرجع
آلاماً ، فكأنهم ينبتون على المرض لا على الحياة ؛ ثم لا يثبت
آلاماً ، بل يتحول فورة وتوثباً تكون منه نزوات الحق والجنون
فى النفس . هؤلاء الذين تعيش أنفسهم فى التراب ، ويتمرغون
بأخلاقهم فيه - ينقلبون على الحياة من صنع التراب ناساً دوداً لا يقع
فى شيء إلا أفسده أو قذّره ؛ أو قوماً سوساً لا ينال شيئاً إلا نخره
أو عابه ، فهم يوقعون الخلل فى نظام أنفسهم فإذا هى طائشة تخيل
لهم كأنما اختلت نواميس الدنيا ، وكأن الله قبضهم وبسط غيرهم ،
وشغلهم وفرّغ من عداهم ، وابتلاهم على مُسْكَةِ الرزق
بالشهوة المسعورة التى لا تتحقق ، فضر بهم بالمجاهدة التى لا تنقطع ؛
وأنعم على غيرهم فى بسطة الرزق بالشجرة المسحورة التى لا تُقطع
منها ثمرة إلا نبت غيرها فى مكانها .

إن ما وصفناه من فقر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يكن
له عتيدٌ حاضر ، وأنه لم يجعل نفسه فى همّ المال ، ولا جعلته نفسه
فى همّ الفقر ، وأنه لقي الحياة حاملاً لا محمولاً ، واستقر فيها هادئاً
لا مضطرباً - كل ذلك إنما يثبت للدنيا أنه خلق وُبُعْث وعاش
ليكون درساً عملياً فى حل المشكلات الاجتماعية ، يعلم الناس
أنها لا تتعقد بطبيعتها ، ولكن بطبائعهم فيها ؛ ولا تستمر
بقوتها ، ولكن بامداد قواهم لها ؛ ولا تغلب بصولتها ، ولكن
بجزعهم منها ؛ ولا تُعزل من ذات نفسها ، ولكن من سوء
أثرهم عليها ، وسوء نظرهم لأنفسهم ولها .

قالت عائشة رضى الله عنها : لم يمتلى جوف النبى صلى الله عليه
وسلم شبعاً قطّ ، وإنه كان فى أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهاه ،
إن أطعموه أكل ، وما أطعموه قبل ، وما سقوه شرب .
وقالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وعنها : كنا آل محمد نمكث شهراً مانستوقد بنار ، إن هو
إلا التمر والماء .

وقالت : ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قطّ غداءً
لعشاء ، ولا عشاء لغداء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ، لا قميصين ،
ولا ردائين ، ولا إزارين ، ولا زوجين من النعال .
ويروى عنها ، قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عندى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رَفٍّ لى .
وقالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير .

وعن ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالى المتتابعة وأهله طاولاً لا يجدون عشاءً ، وإنما كان
خبزهم الشعير .

وعن الحسن ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : « والله ما أمسى فى آل محمد صاعٌ من طعام ، وإنها لتسعة
آيات » والله ما قلها استقلالاً لذكر الله ، ولكن أراد أن تتأسى
به أمته .

وعن ابن مجير ، قال : أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوعٌ
يوماً فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : « ألا ربّ نفس
طاعمة ناعمة فى الدنيا - جائعة عارية يوم القيامة ؛ ألا ربّ مكرم

فإذا قرأت الأحاديث التي أسلفناها فلا تقرأها زهداً وتَقَلُّلاً ، ولا فقراً وجوعاً ، ولا اختلالاً وحاجة ، كما تترجمها نفسك أو تحسمها ضرورتك ؛ بل انظر فيها واعتبرها بنفسه هو صلى الله عليه وسلم ، ثم اقرأها شريعة اجتماعية مفصلة على طبيعة النفس ، قائمة على أن تأخذ نفس الإنسان من قوى الدنيا عناصرها الحيوية ، لتعطى الحياة من ذلك قوة عناصرها . والحياة العاملة غير الحياة الوداعة ، هما ذكر وأنثى ؛ فأما الأولى فهي ما وصفنا وحكينا ، وأما الثانية فهي تغلُّل النعمة ، وإطلاق قانون التناسل في المال ينمى بعضه بعضاً ، وينبت بعضه على بعض ، ثم إقامة الحياة على الزينة ومقوماتها ، وقيام الزينة على الخداع وطبائعه ، فيُقبل المرء من دنياه على ما هو جدير أن يصرفه عنها ، ويحب منها ما كان ينبغي أن يباغضه فيها . وكل ما رأيت وعلمت في رجل قُوَّته القوة فهو هناك ؛ وكل ما علمت ورأيت في أنثى قوتها الضعف فهو هنا . فالسواد الذي تراه في فقره صلى الله عليه وسلم هو السواد الحى ؛ سواد الليل حول الروح النجمية الساطعة ؛ وذلك التراب هو التراب الحى ؛ تراب الزرع تحت النضرة والخضرة ؛ وتلك الحاجة الجسمية هي الحاجة الحية الدافعة الى حرية النفس ؛ وذلك الاقلال من فهم اللذة هو الاقلال الحى الذى يزيد قوة فهم الجمال في السماء والأرض وما بينهما ؛ وذلك الضيق في حيز المتاع للحاسة هو الضيق الحى الذى يوسع حيز المتاع للروح . وبالجمله فذلك النقص من المادة لم يكن إلا لنفي النقص عن الفضيلة ، وذلك الاحتقار للعرض الفانى الزائل هو المعنى الآخر لتقديس الخالد الباقي .

فليس هناك خبز الشعير ، ولا الجوع ، ولا رهن الدرع عند اليهودى . كلا ، كلا ، بل هناك حقيقة نفسية عقلية ، ثابتة مترنة ، قائمة بعناصرها السامية : من اليقين والعقل والحكمة ، الى الرفق والحلم والتواضع ، تخبر هذه الدنيا العلمية الفلسفية المفكرة أن ذلك النبي العظيم هو الرجل الاجتماعى التام بأخلاقه وفضائله ، وهو الذى بُعث لتنقيح غريزة تنازع البقاء ، وكسر هذه الحيوانية ، وقمع نزواتها ، وإماتة دواعيها ، والسمو بخواطرها فهو بنفسه صورة الكمال الذى بعث لتحقيقه ، وإثبات أنه

الممكن لا الممتنع ، والحقيقى لا الخيالى .

ليس هناك درع مرهونة في ثلاثين صاعاً ، ولا الفقر ، ولا خبز الشعير . كلا ، كلا ، بل هناك تقرير أن النصر في معركة الحياة لا يأتى من المال والثراء والمتاع ، ولكن من المعاناة والشدة والصبر ، وأن التقدم الانسانى لا يباع بيعاً ، ولا يؤخذ هوناً ، بل هو انتزاع من الحوادث بالاخلاق التى تتغلب على الأزمات ولا تتغلب الأزمات عليها ، وأن هذا المال وهذه الشهوات — فى حقائق الحياة ومصائرهما — ككنوز الأحلام لا تكون كنوزاً إلا فى مواضعها من أرض الغفلة والنوم ، فلا لذة منها إلا بمقدار خفيف من هذه الغفلة . وليس إلا الأحمق أو المخدول أو الضائع هو الذى يقطع العمر نائماً أبداً ليظل مالكاً أبداً لهذه الكنوز ، وهو يعلم أنه لا بد مستيقظ ، وأنه متى انتبه فى آخرته لم يجد منها شيئاً « ووجد الله عنده فوفاه حسابه »

كلا ، كلا ، ليس هناك فقر ولا جوع وما إليهما ، بل هناك وضع هذه الحقيقة : ينبغى أن تجد نفسك ، وموضع نفسك ، وإيمان نفسك ، وعزة نفسك ، فإذا أدركت ذلك ورفعت نفسك الى موضعها الحق ، وأقررتها فيه وحبتها عليه ، وحدبتها بالانسانية من ناحية ، وباللذة من الناحية المقابلة — رأيت إذن أن قيمتك الصحيحة فى أن تكون وسيلة تعطى وتعمل لتعطى ، لا غاية تأخذ وتعمل لتأخذ — ومهما ضيق عليك ، فانما أنت كالشجرة الطيبة تأخذ تراباً وتصنع حلاوة . وما قط نبتت شجرة فى مكانها لتأكل وتشرب وتخزن السواد والتراب ، وتحصنها وتمنعها عن غيرها ، ولو قد فعلت ذلك شجرة لكان هلاكها فيما تفعل ، إذ تحاول أن تضاعف فائدتها من قانون العالم ، فيكون طمعها سريعاً فى إفساد الصلة بينهما ، فلا يجد القانون فيها نظامه ، ومن ثم لا تجد فى القانون نظامها ، فيهلكها الذى كان يحياها ، وتستعبد لحظ نفسها فيفقددها ذلك حرية الحياة التى كانت لها فى نفسها .

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن بكل خير على كل حال ، إن نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل . » فهذا هو أسى قانون اجتماعى يمكن أن تظفر به الانسانية

وما يأتي لها ذلك إلا إذا أصبحت تلك المعاني التي أومأنا إليها شعوراً اجتماعياً عاماً ، مقررراً في النفس ، قائماً فيها على إيمان راسخ بأن الفرد هو صورة المجتمع لا صورة نفسه وحدها ، وأن الناس كحب القمح في السنبلة ليس لجميعه إلا قانون واحد ، فوضع كل حبة من السنبلة هو ثروتها ، علت أو سفلت ، وكثر ما تأخذ أو قل ، وإذا كان أساس الحياة في الحبة منها أن تجد قوامها وكفائتها من مادة الأرض فتمام الحياة فيها أن يغمرها النور من حولها ، وأن يستمر النور من حولها يغمرها .

فالحبة من السنبلة بكل خير على كل حال ، وإنها لتُزَع وما بها أنها تُزَعَت ، ولكنها أدت ما تؤدِّي ، وانقطعت من قانون لتتصل بقانون غيره ، وما اغتننت ولا افتقرت ، ولا أكثرت ولا أخفَّتْ ؛ بل حققت موضعها ، فانها ما نبتت لتبقى ، وما نمت إلا لينقطع نماؤها . وكذلك المؤمن الصحيح الإيمان ، الصادق النظر في الحياة ؛ هو أبداً في قانون آخرته ؛ فهو أبداً في عمل ضميره .

والناس في هذه الحياة كحشد عظيم يتدفق من مضيق بين جبلين ينفذ إلى الفضاء ؛ فاذا هم أدركوا جميعاً أنهم مُفَضُّون إلى هذه النهاية مروّوا آمنين وكان في يقينهم السلامة ، وفي صبرهم الوقاية ، وفي نظامهم التوفيق ، وفي تعاونهم الحياة ؛ فهم بكل خير على كل حال ، مادام هذا قانون جميعهم ، فأبما رجل شذَّ منهم فاضطرب فطاش هلك وأهلك من حوله ، ومن عكس منهم موضعه ونكص على عقبيه أهلك من حوله وهلك . والموت أشقى الموت هنا — اعتبارُ الحاضر بنفسه ، والضجرُ منه ، وجعل الانسان نفسه غاية ؛ والحياة أهناً الحياة — اعتباره بما وراءه ، والصبر على شدته ، وجعل الانسان نفسه وسيلة .

فذلك معنى خبز الشعير ، والقلة والضيق ، ورهن الدرع عند يهودى من سيد الخلق وأكملهم ، ومن لو شاء لمشى على أرض من الذهب . فهو صلى الله عليه وسلم يعلم الانسانية أن الرجل العظيم النفس لا يكون في الحياة إلا ضيفاً نازلاً على نفسه . ومن معاني ذلك الفقر العظيم أن خبز الشعير هو رمز من

رموز الحياة على التحلُّل من خلق الأثرة ، والبراءة من هوى الترف ؛ ورهن الدرع رمز آخر على التخلص من الكبرياء والطمع ؛ والعُسرة رمز ثالث على مجاهدة الملل الحى الذى يفسد الحياة كما يفسد بعض النبات النبات . ومجموع هذه الرموز رمز بحاله على وجوب الايقاظ النفسى للأمة العزيزة التى تقود أنفسها بمقاساة الشدائد ومجاهدة الطباع ، لتكون فى كل فرد مادة الجيش ، وليصلح هذا الجيش قائداً للانسانية .

على أنه صلى الله عليه وسلم حثَّ على طلب اليسار ، والتغلُّل من الأعمال الشريفة بالغلَّة والمال ، فقال : « إنك إن تدع عيالك أغنياء ، خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس » . ورأى عابداً قد انقطع للعبادة حتى أكلت نفسه جسمه ، ووصفوا له من زهده وعبادته ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يعوله ؟ قالوا كلنا نعوله . فقال : كلكم خير منه ! . إلى أحاديث كثيرة مروية ، هى تمام القانون الأدبى الاجتماعى فى الدنيا ، تثبت أن الحى إن هو إلا عمل الحى . ولكن حين يكون سيد الأمة وصاحب شريعته رجلاً فقيراً ، عاملاً مجاهداً ، يكدح لعيشه ، ويجوع يوماً ويشبع يوماً ، فلم يقلب يده فى تِلَاد من المال يرثه ولم يجمعها على طريف منه يورثه — فذلك هو ما بيناه وشرحناه وذلك كالأمر نافذاً لارخصة فيه على ألا يتخذ الغنى من الفقير عبداً اجتماعياً ، لفقر هذا ولمال ذاك ؛ بل هى المساواة النفسية لا غيرها ، وإن اختلفت طبقات الاجتماع . والأكرم هو الأتقى لله ، بمعنى التقوى ؛ والأقوم بالواجب ، على معنى الواجب ؛ والأكفاً للانسانية ، فى معانى الانسانية .

فقر ذلك السيد الأعظم ليس فقرراً ، بل هو كما رأيت : ضبط السلطة الكائنة فى طبيعة التملك ، لقيام التعاون الانسانى على أساسه العملى ؛ هو المحاجة العادلة بين المصالح الاقتصادية الطاغية يمنع أن تأكل مصلحةٌ مصلحةً فتهلك بها ، ويوجب أن تلد المصلحةٌ مصلحةً لتحيا بها .

والنبي الفقير العظيم هو فى التاريخ من وراء كل هذه المعانى كالقاضى الجالس وراء مواد القانون . صلى الله عليه وسلم . ما

مصطفى صادق الرافعى

بين يدي شهرزاد

للأستاذ توفيق الحكيم

شهرزاد متكئة على الوسائد تنظر
باسمة في حوض ماء من الممر
وبين يديها الوزير قمر

شهرزاد — (في مكر) أراك يا قمر تسرف في إطرائي وتبخس
قدر صديقك .
الوزير — لم أبخس قدره .
شهرزاد — (في مكر) يخيل إلي أنك نسيت ما بينكما من ود
عجيب .

الوزير — (في حدة) لم أنس شيئاً .
شهرزاد — (في خبث) بلى !
الوزير — (في حدة عمياء) اني لم أنس شيئاً . انما أبين لك لماذا
أنت تحببته أسمى الحب ، فلا تزعمي لي غير هذا
مرة أخرى . اني لست أخدع . لست أخدع .
لست أخدع !

شهرزاد — (هادئة) قمر ؟ ماذا دهاك ؟
الوزير — (يثوب الى رشده) مولاتي مغفرة . . اني . .
شهرزاد — انك أحياناً لا تملك نفسك .
الوزير — إني . . أردت أن أقول انك غيرته ، وأنه انقلب
إنساناً جديداً منذ عرفك .

شهرزاد — انه لم يعرفني .
(يسمعان طرقاتاً شديداً)

الوزير — (يرهف السمع) هذا هو .
شهرزاد — ان شهریار يحمل دائماً مفتاحه ولا يدخل القصر ليلاً
إلا من سردابه .

الوزير — من هذا الطارق اذن ؟
شهرزاد — اذهب وجئني بالخبر .

(الوزير يخرج مسرعاً)

شهرزاد — (كالخاطبة لنفسها) مسكين أنت يا قمر !

(الوزير يعود على عجل)

قمر — مولاتي ! أتدريين من الطارق ؟ رجل عجيب الزى ،
يقول انه المؤلف ، ويلتمس المثل بين يديك .

شهرزاد — (في عجب) المؤلف ؟ أي مؤلف ؟

قمر — لم أفهم مراده . انما هذا ما قاله لي .

شهرزاد — أدخله لتبين أمره .

قمر — أفى مثل هذه الساعة من الليل ؟

شهرزاد — وماذا يضير . انك معي .

قمر — نعم سألبث معك .

(يخرج قمر في الحال)

شهرزاد — (كالخاطبة لنفسها) المؤلف ؟ : أترأه أحد السحرة قد

أرسل في طلبه شهریار ؟

(قمر يعود وخلفه توفيق الحكيم يلتفت يمنة

ويسرة منبه البصر مما في القصر من عجائب

لم يسبق لعين مثله أنت وقعت على مثلها)

شهرزاد — (تلتفت اليه وتتأمل زيه قليلاً وتأذن له في الدنو منها ولكنه

يقف مكانه جامداً) (تقدم يا هذا .)

توفيق — مولاتي ...

شهرزاد — ماذا بك ؟

توفيق — أأنا بين يدي شهرزاد ؟

قمر — نعم أنت في حضرة الملكة العظيمة .

توفيق — (كالخاطب لنفسه) نعم ، لا يمكن لهذا الجمال أن يكون
لغيرها .

شهرزاد — بيم تهمس كمن به مس ؟

توفيق — مغفرة أيتها الملكة ، إني . . .

شهرزاد — لماذا تنظر إلي هكذا ؟

توفيق — هذا الجمال ...

شهرزاد — (لقمر) أرايت يا قمر ! انك قد جئتني آخر الليل

بمُعْجَب مفتون .

توفيق — قدر نفسي؟ وما أدراك به؟ وهل عرفت لي قصصاً
على الأقل أيتها الملكة؟
شهرزاد — كلاً. ماذا صنعت من القصص؟
توفيق — قصة «شهرزاد»
شهرزاد — (في عجب) أنا؟
توفيق — نعم أنت.
شهرزاد — متى صنعتها؟
توفيق — ليس يعنى الزمن الذى صنعت فيه.
شهرزاد — أصنعتها فى الماضى؟
توفيق — بل فى المستقبل.
شهرزاد — فهمت. هذا الزى العجيب...
توفيق — نعم. انى أهبط اليك الساعة من المستقبل الذى أعيش
فيه لألقاك فى الماضى الذى فيه الآن تعيشين كما
يهبط الطائر من الشمال الى الجنوب فى غابة متسعة
الأرجاء.
شهرزاد — يا للعجب! كلامك هذا يذكرنى بشهر يار.
توفيق — أترين هذا؟
شهرزاد — لكنك أهدأ نفساً منه.
توفيق — نعم، الآن.
شهرزاد — (تنظر اليه ملياً) انى أعجب كيف أن القدر لم يجمع
بيننا قبل الآن؟
توفيق — لقد جمع بيننا دائماً.
شهرزاد — أين؟
توفيق — (يشير الى قلبه) هنا.
شهرزاد — (فى عجب تشير الى قلبه) هنا؟
توفيق — نعم. ومن هنا خرجت أنت الى الوجود. فما أنت
إلا صنع النار والنور الكائنين هنا (يشير الى قلبه)
شهرزاد — هذا جميل.
توفيق — أرايت من أى مادة أنت مصنوعة يا مخلوقتى العزيزة!

قمر — (لتوفيق) ماذا جئت تصنع هنا أيها الرجل؟
توفيق — (همساً) لست أدري... (يعود فيتأمل شهرزاد)
شهرزاد — أرجو منك ألا تطيل النظر إلى هكذا.
توفيق — مولاتى! لا أستطيع.
شهرزاد — أين الجلاد؟
توفيق — خير لك أن تأمرى بى فتطاح رأسى من أن تطلبى
إلى ألا أعجب بك.
شهرزاد — أترانى حقاً جميلة؟
توفيق — نعم.
شهرزاد — ان لى جسداً جميلاً! أليس لى جسد جميل؟
توفيق — ليس الجسد وحده.
شهرزاد — اقترب.
توفيق — كلاً.
شهرزاد — لماذا؟
توفيق — (يشير الى الحوض) هذا الحوض...
شهرزاد — أئخيفك هذا الحوض؟
توفيق — أخشى أن تزل قدمى فأسقط وأنا لا أحسن السباحة...
شهرزاد — انه قليل الغور
توفيق — لا شئ عندك قليل الغور.
شهرزاد — (تفرس فيه) عجباً! انك تتكلم كما يتكلم شهر يار!
من أنت؟
توفيق — خادمك توفيق الحكيم.
شهرزاد — أتعنى أنك صاحب توفيق أم أنك صاحب حكمة؟
توفيق — لا هذا ولا ذاك، ولكنه اسم من الأسماء.
شهرزاد — وما صناعتك؟
توفيق — أولف القصص.
شهرزاد — مثلى؟
توفيق — لم أبلغ شاؤك. وليس لى ذكاؤك ولا خيالك.
شهرزاد — انك تسرف فى اطرائى وتبخس قدر نفسك.

- قمر — (بسمل) من هذا الرجل ؟
توفيق — صه أيها الوزير . فكر في شأنك أنت ، ودعني فيما أنا فيه . فما جئت الليلة إلا من أجل شهرزاد .
- شهرزاد — جئت من أجل ؟
توفيق — نعم .
- شهرزاد — وماذا تريد مني ؟
توفيق — أريد أن أعيش الى جانبك .
- قمر — (في غضب وهياج) أيها الرجل ! من أنت أيها الرجل ؟
توفيق — أنا كائن أشقى منك حالاً .
- شهرزاد — (باسمه لتوفيق) لماذا ؟
توفيق — لأنني أشعر ببرد الوحدة يكتنفي في تلك السماء ذات السحب .
- شهرزاد — ويل للمبدعين !
توفيق — صدقت ، أجل يا شهرزاد لو لم يعيش المبدع في مخلوقاته لقتله برد الوحدة .
- شهرزاد — تريد إذن أن تهبط الى الأرض .
توفيق — لقد قتها يا شهرزاد . لا شيء غير الأرض . ؟
- شهرزاد — أين شهریار يسمع منك ؟ وهو الذي هجر الأرض يريد السماء . !
- توفيق — لا تخشى عليه من بأس . سوف يعود اليك .
- شهرزاد — متى ؟
توفيق — يوم يعلم أن السماء في الأرض .
- شهرزاد — يا هذا . أريد منك شيئاً ...
توفيق — ماذا ؟
- شهرزاد — أمنحك قبلة . !
توفيق — تمنحيني قبلة ؟
- شهرزاد — نعم .
توفيق — وهبتها قراً .
- قمر — (في استنكار) مولاي !
توفيق — خذها أيها الأبله . من ذا يرفض قبلة من شهرزاد ؟
- قمر — (يخرج سريعاً) ...
توفيق — هرب الأحمق .
- شهرزاد — (تنظر الى توفيق ملياً) عرفتك أخيراً .
توفيق — (باسمه) أعرفتني ؟ من أنا ؟
- شهرزاد — أنت هو ؟ أم أنك تعيش فيه ؟
توفيق — من هو ؟
- شهرزاد — شهریار !
توفيق — صه . لست أدري ... لست أدري ... هذا سؤال لا ينبغي أن يوضع . ولا ينبغي أن يلتقي على .
- شهرزاد — اذن ارتفع . فما أنت إلا شبح من الأشباح .
توفيق — شبح من ؟
- شهرزاد — شبح شهریار . !
توفيق — لا تقولي هذا . إنما هو الشبح وأنا الحقيقة .
- شهرزاد — أمام الأبد هو الحقيقة التي ستبقى وهو خالقك وهو مخلدك ، وما أنت إلا خيال سوف تتبعه صاغراً على مرّ الأيام . وان ذكر اسمك على الدهر فانما يذكرك خلف اسمه . انك تزعم الآن أنك صانعنا ومبدعنا أمام ذلك الزمن المحدود ، وإنما نحن في الحقيقة صانعوك ومبدعوك في الغد أمام الخلود ...
- توفيق — ويل لي .
شهرزاد — ماذا بك ؟
- توفيق — أنا عندك شبح ؟ تلك هي السخرية الكبرى ! في وحدتي ينخر في نفسي الشك . فاذا هبطت بينكم ألتبس اليقين علمت أنني شبح لا حقيقة . واني وليد صنعكم أنتم أمام الدهور .
- شهرزاد — كل شيء يصنع كل شيء ...
توفيق — نعم .
- شهرزاد — ليس هناك إلا حقيقة واحدة .
توفيق — ماهي ؟
- شهرزاد — أننا جميعاً لسنا حقيقة .
[البقية في أسفل الصفحة المقابلة]

٣- من روائع عصر الأحياء

حياة بنفونوتو تشليني مكتوبة بقلمه

مثل عال للترجمة الشخصية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

زج بنفونوتو تشليني إلى غيابة الحصن الرهيب (حصن سانت انجيلو) مرة أخرى ، وهو كسير الساق ، طريح الفراش وألقى في تلك المرة إلى غرفة مظلمة ضيقة رطبة ، تتمثل فيها روعة الأسر ، ورهبة العدم ؛ وشعر أن لخب حياته يخبو ، فانكب على قراءة الكتاب المقدس استعداداً للقاء ربه ؛ ولكنه بعد أن لبث أياماً في قراءته ، شعر أن قبساً جديداً يضيء حياته ، وتولاه نوع من السكينة المعنوية وصفاء النفس ؛ ويصف لنا تشليني ذلك التطور النفسى الغريب الذى حقق له خلال الألم المبرح نوعاً من السعادة ، وحوّله من فتى مضطرب الأهواء والنزعات ، إلى شبه قديس يتجرد بعواطفه نحو الملكوت الأعلى ، لا يذكر شيئاً من ملاذ هذا العالم وحواسه ؛ ويقص علينا في عدة صحف شائقة حوادث حياته الهادئة في ذلك الظلام الدامس ، وكيف غدا عرضة للأحلام الروحية البديعة ، ويبدو تشليني في هذا الوصف كاتباً بارعاً ، في بيانه كثير من القوة والسحر ؛ والمحن تطلق البيان والشاعرية ؛ أجل ، وغدا تشليني شاعراً أيضاً ،

توفيق — وأنا معكم .

شهرزاد — وأنت معنا لا فرق بينك وبيننا .

توفيق — (بعد لحظة) صدقت ! ولا أمل لى مع ذلك فى أن أعيش الى جانبك .

شهرزاد — اليوم كلاً .

توفيق — ومتى اذن ؟

شهرزاد — فى الغد ، يوم تصبح من مادتنا ، لو أن لنا اليوم مادة .

توفيق — فهمت . وداعاً يا شهرزاد .

توفيق الحكيم

شهرزاد — الى الملتقى !

يكتب فوق الصفحات البيضاء من « توراته » أبياتاً من الشعر الصوفى ، ويشغل بوضع قصيدته الكبيرة (الكابيتولو) فى وصف السجن ومديحه ، ووصف ما عانى من ألم ، وما آانس من سعادة نفسية

ثم توفى محافظ الحصن ، صديقه القديم الذى كان يرعاه ويجهده فى تخفيف محنته وخلفه أخوه فى منصبه . وكان البابا كلما خطر له أن يطلق تشليني من أسره تدخل ولده السنيور بيرلويجي وحال دون قصده . وكان خصوم تشليني يودون موته بأى الوسائل ، وكان السم بالطبع أيسر وأنجع الوسائل التى تستعمل فى هذا العصر الفياض بالجريمة والغدر . وعلى ذلك عهد أحد رجال البطانة إلى أحد حراس السجن أن يضع شيئاً من مسحوق الماس فى طعام تشليني ، وعهد بسحق الماس واعداده إلى صائغ من أريزو ؛ وقدم الطعام المسموم إلى تشليني فأكله ، ولكنه لاحظ فى النهاية ذرات تلمع فى أحد الصحون ، فخفق قلبه ، واعتقد بعد فحصها أنها ذرات الماس القاتلة . يقول : « فأيقنت عندئذ بأنى هالك ، وامتزج الحزن والايمان فى قلبى حينما هرولت إلى الصلاة . ولبثت مدى ساعة أواجه الموت المحقق ، وأضرع إلى الله ، وأشكره على أن هياً لى هذا الموت الهين ، وشعرت برضى عميق ، وباركت العالم والزمن اللذين عشت فيهما ؛ والآن فانى أعود إلى أرض أفضل برعاية الله التى أيقنت أنى كسبتها . ولكن أملاً غامضاً فى الحياة حمله على أن يتأمل الذرات اللامعة مرة أخرى ، وأن يفحصها بواسطة مدية صغيرة ، فانتهى بعد فحصها وسحقها إلى أنها لايمكن أن تكون من الماس ، وأنها مسحوق مادة لامعة أخرى لعلها لا تؤذى الحياة . والظاهر أن الصائغ الذى عهد إليه بسحق الماس قد طمع فيه واستبقاه لنفسه واستبدله بهذه المادة . وعلى أى حال فقد نجا تشليني من هذه المحاولة ، واستمر أياماً يرفض الطعام الذى يحمل اليه مالم يذوقه أمامه حارس السجن

وقضى ربك أخيراً أن تختتم المأساة المروعة وأن يطلق سراح البريء . ذلك أن الكردينال دى فرارا مبعوث فرانسوا الأول ملك فرنسا قدم إلى رومة لمفاوضة البابا فى بعض الشئون ، وانتهز هذه الفرصة فالتمس من قداسته أن يفرج عن تشليني ، وأن يسلمه إليه ، منوهاً باهتمام ملك فرنسا بأمره ، فاضطر بولس الثالث

ولبت تشاليني في خدمة ملك فرنسا حيناً من الدهر ، ولكنه لم يحظ بعطف الدوقة دتامب صاحبة الملك ، وكانت تستأثر يومئذ بالنفوذ في البلاط ، وأنفتت نفسه من أن يترضاها بوسائل لا تتفق مع كبريائه ، فلبثت من جانبها تدس له لدى الملك وتخلق الصعاب في وجهه . ولكن الملك أعرض عن تحريضها حيناً ، وعهد الى تشاليني بأعمال فنية كبيرة منها تماثيل فضية عديدة ، وأحواض زهر ، وباب برنزي وغيرها ، وأدى الفنان هذه الأعمال كلها ببراعته الفائقة ، وأعجب بها الملك أيما إعجاب . وأخيراً شعر تشاليني بأن عطف الملك قد فتر ، وعاف هذه الحياة المضطربة الفياضة بالأحقاد والدس ، فاستأذن في السفر ، وذهب الى الكردينال دي فرارا يلتمس اليه العون في العودة الى وطنه ، فاجاب ملتزمه ، وغادر فرنسا غير آسف على فراقها ، ووصل الى إيطاليا بعد رحلة شاقة ، وقصد الى مدينة فلورنس مسقط رأسه ، وكان ذلك في صيف سنة ١٤٤٥ . وبعد أن أقام أياماً الى جانب أسرته ، سعى الى لقاء الدوق كوزيمو دي مديتشي أمير فلورنس ، فاستقبله بترحاب وعهد اليه بصنع تمثال « لبرسيوس » وتمثال نصفي له ، وقضى حيناً في خدمته ، ولكن سوء تفاهم وقع بينه وبين الدوقة زوج الأمير ، حمله على مغادرة فلورنس ، وعندئذ سافر الى البندقية وأقام بها حيناً ثم سافر الى رومة وزار هنالك ميشيل أنجيلو المهندس والفنان الخالد ، وكان يومئذ يعني ببناء كنيسة القديس بطرس وزخرفتها ، ليفاوضه في بعض المسائل الفنية . ثم عاد الى فلورنس ، بعد أن عاد التفاهم بينه وبين الدوق ، واشترى هنالك ضيعة صغيرة بما اجتمع له من المال ، واستقر هنالك منكباً على تحفه وتماثيله

وهنا ينتهي ما كتبه بنقونوتو تشاليني عن حياته . وقد كتب تشاليني هذه الصحف بين سنتي ١٥٥٨ و ١٥٦٦ ، ولكنه يقف فيها عند سنة ١٥٦٢ . وكانت أوصاب الشيخوخة قد دهمته يومئذ ، وذهبت بذلك العزم المضطرم الذي كان يلهب أبداً ؛ وملك تشاليني سحر القلم فكتب في ذلك الحين أيضاً قصته « تراتاتي » يكرر فيها القصة القديمة المعروفة بذلك الاسم . وليس في حياته ما يستحق التدوين يومئذ غير زواجه سنة ١٥٦٥ ، وهو في الخامسة والستين من خدمته ييرا دي سلفادوري ، تزوجها عرفاناً

أن يجيب ملتزمه ، وأوفد رسوله في الحال الى الحصن مع كبيرين من حاشية الكردينال ، وأفرج عن تشاليني ، وأخذ الى الكردينال دي فرارا ، فاستقبله بترحاب ، وأزله بقصره . فلبث به مدى حين ينفض عنه عثار السجن ، ويستجمع قواه الذاهبة ، ويستعيد مواهبه التي كادت أن تخبو . ولما انتعشت نفسه ، عاد فانكب على عمله المحبوب ، وأخذ يشتغل بطائفة من الأواني والتحف التي عهد اليه الكردينال دي فرارا بصنعها . ولما أتم الكردينال مهمته في رومة اعترم السفر الى فرنسا ، فسار تشاليني في ركبه مع فتاه اسكانيو وزميل له يدعى باجولو ، وسبقه الكردينال الى فرنسا ، وتخلف هو حيناً في فلورنس وفرارا ، ثم كتب اليه الكردينال ليوافيه الى باريس ، فسار اليها مع عامليه ، ولم يكن راضياً عن معاملة الكردينال له من الوجهة المادية ، ولكنه لم يستطع التخلف قياماً بحق الوفاء والعرفان لأنه هو الذي أنقذه من إيسار السجن . ووصل الى باريس ، ثم سار الى فونتنبلو حيث كان يقيم الملك وبلاطه ، وهنالك لقي الكردينال ، فأكرمه وأزله منزلاً حسناً ، ثم استقبله الملك فرانسوا الأول بترحاب وأغدق عليه عطفه ، وقدم اليه التحف والحلى التي صنعها لحسابه ، فأعجب بجمالها ودقتها وهنأه على براعته ، وعهد اليه بصنع تحف أخرى ، وأقطعته منزلاً للعمل والأقامة ، وأجرى عليه راتباً حسناً . وهنا يفيض تشاليني كعادته في وصف التحف التي عهد اليه ملك فرنسا بصنعها والزخارف التي وضع نماذجها لبعض أبواب قصر فونتنبلو ، ثم يصف لنا حياته اليومية في عاصمة فرنسا . وكانت كالمعتاد حياة عاصفة مليئة بالشجار والمنازعات ، وكان قد اتخذ له صاحبة جديدة ، هي فتاة فرنسية تدعى كاترينا ، تشتغل لديه كنموذج فني ، فكانت هذه العلاقة مثاراً لعدة منافسات وفضائح غرامية يصفها لنا تشاليني بصراحته المعروفة . ويقص علينا كيف فاجأ ذات يوم فتاه باجولو متلبساً بالخيانة مع كاترينا ، وكيف تسممت بينهما العلائق من أجل ذلك ، وطرد الفتاة الخائنة وصاحبها ، ثم انتهى بأن رتب لهما انتقاماً جهنمياً هو أنه عقد زواجهما بالا كراه ، وسيفه معلق على رأسيهما ثم عاد بعد ذلك فاستخدم كاترينا نموذجاً وخليلة لكي يذل بذلك أنف عامله السابق باجولو ، وكيف أنه استخدم بعد ذلك فتاة أخرى ، وأولدها طفلة ثم صرفها مع طفلتها بشيء من المال ، ولم يرها بعد ذلك قط

تشليلني تتفوق من ناحية الفن والطرافة والروعة على اعترافات روسو ؛ وعلى أى أثر غربي آخر من نوعها .

ولدينا في العربية أثر هام من نوع التراجم الشخصية القوية . ذلك هو ترجمة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون لنفسه ، وهي المشهورة « بالتعريف » . فقد دوّن ابن خلدون حوادث حياته في مجلد خاص في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر ، أعني قبل أن يكتب تشليلني ترجمته بقرن ونصف ؛ و « التعريف » ترجمة شخصية ، ولكن الحياة السياسية العاصفة التي خاض ابن خلدون غمارها والتي يقصها علينا في هذا السفر ، تسبغ على « التعريف » لون التاريخ العام ؛ ذلك أن ابن خلدون ضنين علينا بمواطن الافضاء الشخصي التي تملأ ترجمة تشليلني ، وهو يؤثر دائماً أن يدون من حوادث حياته ما يرتفع الى أهمية الحياة العامة وحوادث التاريخ ؛ بيد أنه يحدثنا أيضاً عن نفسه وعن خلاله ، ولا يتردد في الافضاء بكثير مما لا يحسن الافضاء به ، لا عن حياته الداخلية ولكن عن حياته العامة . وفي تعريف ابن خلدون ، كما في ترجمة تشليلني عنصر القصة الشائقة لحوادث حياة حقيقية . فان فيلسوفنا يصف لنا في تعريفه كيف يجوز من قصر الى قصر ، ويتعرض لمخاطر النعمة والاعتقال والمطاردة ، ويسير في ركب الجند ، ويمثل الى جانب أميره في المعارك الحربية ، ويقوم بقضاء المهام الخطرة في أعماق الهضاب والصحارى . وزاره في دمشق في السبعين من عمره يجوز مخاطر جديدة ، وينزل من أبراج المدينة المغلقة مدلى بجبل ليقصد الى معسكر الفاتح التتري تيمورلنك ، وغير ذلك من الحوادث الغريبة الشائقة . والواقع أن هنالك شبيهاً عظيماً بين ترجمة ابن خلدون و ترجمة تشليلني مع اختلافهما في النوع ، فكلاهما تفيض بمواطن الجرأة والمخاطرة ومواطن الافضاء والصراحة . واذا كانت ترجمة الفنان الايطالي تعتبر في الأدب الغربي نموذجاً بديعاً للترجمة الشخصية ، وقطعة رائعة من العرض الساحر والقصص الشائق ، فان « تعريف » ابن خلدون يتبوأ مثل هذه المكانة في أدبنا العربي .

ولأثر تشليلني فوق ذلك أهمية تاريخية ، فهو يصور لنا كثيراً من ألوان الحياة الاجتماعية في عصر الاحياء ، وهو عصر تطور

ما قدمته في خدمته أثناء مرضه من الغيرة والاخلاص ، ورزق منها بولدين هما ابنه أندريا سيموني ، وابنته ماديلينا ، وتبنى أيضاً أبناءها من زوجها الأول . وتوفي الفنان الكبير في ١٣ فبراير سنة ١٥٧١ ، بمنزله في فلورنس ، ودفن باحتفال نفيم ، وخبث تلك الحياة التي لبثت سبعين عاماً تملأ ما حولها حركة ونشاطاً واضطراباً .

هذه خلاصة لذلك المجلد الضخم الذي تركه لنا بنقونوتو تشليلني عن حياته الغريبة الحافلة . وإذا كان تشليلني قد عدّ من أقطاب الفنانين في عصر الاحياء ، فانه يرتفع بأثره الى صف أقطاب كتاب هذا العصر . ولم يكن تشليلني كاتباً كما قدمنا ، ولم تهين تربيته الساذجة ، ولا حياته الشريفة المضطربة لمعالجة الكتابة ؛ ولكن البيان هبة الطبيعة ؛ وقد كان تشليلني ابن الطبيعة ، وهبته كثيراً من خلالها الباهرة ؛ فكان القلم في يده يدون به حوادث حياته ، كالريشة يرسم بها نماذج تحفه . وليست روعة ترجمة تشليلني في هذا البيان القوى الساذج الساحر فقط ، ولكنه أيضاً في تلك الصراحة الخشنة التي يحدثنا بها تشليلني ، وفي تلك البساطة الرائعة التي يكشف لنا بها عن دخائل نفسه . ويقول لنا تشليلني في الخطاب الذي يوجهه الى صديقه بنديتو فارشي بشأن ترجمته أنه لم يكتب إلا ما وعته الذاكرة من حقائق حياته . يقول : « والواقع أنني لم أكتب سوى الصدق ، وقد أغضيت عن كثير من الحوادث العجيبة التي كان غيري يعطيها أهمية خاصة . ذلك أن لدى شئناً عظيماً كثيرة أقصها ، وقد تركت كثيراً مما هو أقل أهمية منها لكي لا يفيض بي القول فأخرج مجلداً ضخماً جداً » . ولم ينته الينا قبل تشليلني أو بعده أثر كأثره يمتاز بتلك الروعة والصراحة والحقائق المدهشة ، وإن كانت هنالك ثمة تراجم شخصية عديدة غربية وشرقية ترتفع الى ذروة البيان والطرافة الأدبية . وقد أشرنا فيما تقدم الى ما بين ترجمة تشليلني و « اعترافات » جان جاك روسو من وجوه الشبه والتباين ، وأخصها أن جمال ترجمة تشليلني مستمد بالأخص من روحه التي تكاد تمثل في كل صفحة من صفحاته ؛ أما جمال الاعترافات ، فهو مستمد على الأغلب من السحر الذي يسبغه بيان روسو وقلمه على حوادث حياته . وفي رأينا أن ترجمة

٢- الامتيازات الأجنبية والضرائب

للأستاذ زكي دياب المحامى

القديمة التي كانت تفرض من جانب الظافر على المهزوم وبين الضرائب التي تفرض في الدول الحديثة .

وترى الأوساط الأجنبية هنا وجوب الأعفاء من كل تلك الضرائب ، ضريبة الأراضي العقارية والرسوم الجمركية ، ويرد على هذا بأن العامل الوحيد الذى حدا بالدول الى طلب هذا الامتياز والحرص عليه هو وضع الأجانب فى مأمن من تيار الضرائب الكيدية التي كان يفرضها الحكام فى ذلك الوقت بدليل أن نص الاتفاقات لا يتضمن إعفاء عاماً للأجانب ، فالدول فى الواقع كانت تقصد حماية رعاياها من حيث طريقة جباية الضريبة ولكنها لا تعارض فى فرضها . ومادامت قد ذهبت العلة فلا داعى لبقاء العلول . فدوافع الكيد معدومة .

ولاغرو فبدأ المساواة فى تحمل الضرائب قد جذته لجنة التحقيق فى بيانها سنة ١٨٧٨ . وهى مؤلفة من أجانب عينوا بعد مفاوضات مع الدول . أليست هذه حجة قوية ؟ وأليست هذه شهادة شهود من أهلهم ؟

وفى مؤتمر لندن سنة ١٨٨٥ أكدت الدول بصراحة رغبتها فى المساواة ، ورأت من العدل إخضاع الرعايا الأجانب القاطنين بمصر لنفس الضرائب التى يخضع لها المصريون . . . وقبلت (الدول) تنفيذ ديكريته سنة ١٨٨٤ الخاص بالضرائب على أراضي البناء فسرى على الأجانب والمصريين كما سبق القول . وفى قرارات ذلك المؤتمر الخطير حجة لنا دامغة لا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وفى مستهل القرن العشرين استنكرت الشخصيات الكبيرة المعروفة فى عالم السياسة نظام الامتيازات فى مصر فصرح اللورد ملتر فى كتابه (England in Egypt) أو (إنجلترا فى مصر) بأن إعفاء الأجانب من الضرائب فى القطر المصرى من المنح التى خلقتها الامتيازات بدون وجه حق ، وفى عبارته التالية مبلغ ذوده عن رأيه الحكيم : —

« L'exemption des impôts pour les étrangers est le plus insolite des privileges accordés sous le régime des Capitulations. »

وأعرب لورد كرومر بأنه لا يتردد فى القول بأن النظام المعروف بالامتيازات فى مصر لا يتفق إطلاقاً وحالة مصر الحاضرة :

يرى بعض الشراح أن إعفاء الأجانب من الضرائب التى تفرضها الحكومة المصرية قائم على اتفاقات دولية ، وهم فى زعمهم خاطئون . وآية ذلك أن الاتفاقات الخاصة بالامتيازات كانت ترمى الى إعفاء الأجانب من الضرائب الكيدية ، وخصوصاً ضريبة الرأس (Capitation) وهى ما تقضى قواعد الشريعة المطبقة فى الدولة العلية حينذاك بأن تجبى من كل أجنبي يقيم أكثر من سنة فى بلد اسلامى . وكانت تعتبرها الشريعة أيضاً نوعاً من الجزية ، فضلاً عن أن فى دفعها مظهرًا للاستبداد والتعسف المالى . هذا ويلاحظ أنه وإن كانت هذه الاتفاقات تحمى الأجانب من حملة المكائد إلا أنها لم تعفهم إعفاء مطلقاً من الضرائب بكافة أنواعها . وقد كان الأجنبي منظوراً إليه بعين الكراهية لنزعتة الدينية ، وبدراسة نصوص الاتفاقات الفرنسية والانجليزية يظهر ذلك جلياً . على أنه وإن كانت الاتفاقات الفرنسية تعفى الأجانب من فرائض صغيرة فيها شئ من التعسف ، فإن ذلك الوضع لا يمنع من فرض ضرائب معروفة لدى الدول المتمدينة ، فالهوة سحيقة بين الجزية

عظيم فى تاريخ الانسانية ؛ وفيه وصف شائق لكثير من أحوال البابوات وبذخهم وقصورهم ، ووصف لأخلاق الأتجار ودسائسهم واستغلالهم لطبقات المجتمع الأخرى ، ووصف لأحوال الجمهوريات الايطالية فى ذلك العصر وأمراءها وسادتها ؛ والخلاصة أنه يلقى أكبر الضياء على تاريخ عصر من أهم عصور إيطاليا ، وعصر يعتبر بحق فجر التاريخ الحديث . وفى رأينا أن كتاب تشليني من أجدر الآثار العربية وأحقها بالترجمة العربية ؛ وقد ترجم فعلاً من الايطالية الى جميع اللغات الأوروبية ؛ فعسى أن يتقدم بعض شبابنا المثقف فيتحفنا بترجمة عربية بديعة لذلك الأثر البديع

محمد عبد الله عنانه
المحامى

« تم البحث »

الذكرى

للأديب حسين شوقي

« Je n' hésite pas à dire que le système connu sous le nom générique de Capitulations, tel qu'il est partiqué aujourd'hui en Egypte, est tout a fait incompatible avec la situation actuelle de l' Egypte. »

وبعد ، أليس من الجور في أخص صوره أن مصر وقد خطت في سبيل المدنية الصحيحة والتقدم خطوات لم تنكرها عليها الدول ؟ أليس من الجور أن مصر هذه إن أرادت فرض ضريبة جديدة تستعين بها على ما تقوم به من أعمال كبار أن تلجأ الى اثنتي عشرة دولة تلتئم موافقتها ؟ إنه مظهر من مظاهر قصور السيادة ، وجرح لا يندمل في صميم العزة القومية . ومن ذلك ما حدث خلال المدة التي أعلنت فيها الأحكام العرفية على البلاد ، إذ جرت السلطة العسكرية على إصدار أوامر تسرى على الوطنيين والأجانب سواء بسواء ، وكان بين هذه الأوامر ما يتعلق بفروض مالية قبل الأجانب ، والوطنيون يحملونها . فلما ألغيت الأحكام العرفية أثار إلغاءها دفائن العصيان المدني لأوامر الحكومة المصرية ، فامتنع أكثر الأجانب عن دفع ضريبة الخفر ، وأشار بذلك بعض القناصل وعللوا الامتناع بأن دولهم لم توافق عليها . وما كانوا ليقولوا كلمة وقت أن فرضتها السلطة العسكرية .

ومجمل القول أن نظام الضرائب في مصر جد متناقض ، وعلة ذلك نظام الامتيازات العتيق والتوسع الضار الذي خلقه العرف السائد الآن والقواعد القديمة البالية ، والأوضاع الكيدية المهيمنة التي صورتها الامتيازات . وهل ترى من العدالة أن الأراضي الزراعية وجلها في يد المصريين تثقل بالضرائب حتى لتكاد تستغرق الإيراد ، أما التجارة الواسعة وهي في يد الأجانب ، والصناعة الممتازة المكسبة ، والمصارف الكبرى وكل ذلك في يدهم ، فمعنى من الضرائب .

وأخيراً فلا تردد في إبراز الحقيقة نيرة في سطور معدودة ذلك أن قيام الأجانب متمسكين في وجه مصر بامتيازاتهم كلما حاولت الحكومة المصرية السعي لإلغاءها أو تخفيف وطأتها سيكون له من الأثر الخطير ما يقرب أجل الامتيازات ، لأن الحال على ما هي عليه لن تدوم طويلاً ولا بد لمبادئ العدالة أن تسود يوماً ما ما

زكي دباب

« تم البحث »

مضى عام كامل منذ أن رافق (س) رفاتها الى المقر الأخير ، فرأى أن يزور القبر بهذه المناسبة وأن يضع على الضريح طاقة من البنفسج ، لأنها كانت تحب هذا الزهر الذي طالما لاحت زرقته في انساني عينيها ، ثم قصد الى محل الشاي حيث اعتاد مقابلتها لدى خروجها من عملها ، وجلس الى المائدة التي كانت تجلس اليها وهي تنتظره في شغف وسرور . . . ثم أقبل الخادم وكان هو بعينه الذي خدمهما في العام الماضي ، فحياه (س) كالعادة في لطف ودعة ، ثم طلب منه الطلب نفسه : قدحين من الشاي ، فدهش الخادم لأن الرجل لم يكن معه أحد ، ثم أخرج (س) مجموعة من الرسائل التي علتها صفرة القدم ثم أخذ يتلوها واحدة واحدة للمرة المتتمة للمائة ، ولكن كان يجد فيها دائماً لذة جديدة كأنها لحن من ألحان ديبوسي الشجية التي لاتبها النفس أبداً . .

هاهي ذى ذكريات الماضي ماثلة أمامه : مقابلاته الأولى مع محبوبته ، رحلاتهما ، نزاهتهما ، نوادرهما ، جلساتهما في هذا المكان نفسه ، تناولهما الشاي في هذه الساعة نفسها ، كل ذلك كان يحس وجوده ، حتى المحبوبة خيل اليه أنها بجواره . . كان يشعر بلذة عظيمة من أجل هذا ، لقد أتى عملاً يعد من معجزات الرسل اذ تحدى الفناء وعلا سلطانه فوق سلطان الدهر ، ولو الى زمن قصير !

مضت ساعة ، فساعة ولم يحضر أحد . . وكان الخادم يرقبه فظن أن الرجل ضحية خيبة أمل من عشيقه . . ولكن على حين فجأة تذكر قصة هذا الرجل ففهم الحقيقة المؤلمة لما كان يبدو على (س) من مظاهر اليأس المتجلد ، ففجّل من نفسه وأشفق على الرجل شفقة عظيمة ، كما أعجب من تحدّيه للموت ومن وفائه لمحبوبته المتوفاة ، ثم اقترب منه ومد اليه يده معتذراً لسوء ظنه قائلاً : آسف جداً ياسيدي لقد شككت في وفائك ، سامحني ! فصاحفه (س) في حزن وألم مردداً : لا بأس لا بأس . . وكأنه أفاق من حمله الجميل فعاد الى عالم الألم والشقاء ، يئن تحت سلطان الزمن .

حسين شوقي

رأى عربى مسيحى فى محمد

محمد والعرب

قصيدة فى ذكرى مولد الرسول

بقلم وصفي قرنفلى

توطئة

عقيدتى الشخصية ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول
كبكية الرسل ، وكما جاز للمسيحيين أن يجمعوا للمسيح (ص) صفتى
الالهوية والانسانية المتمازتين ، فقد يجوز لى أن أرى فى سيد
قريش نبياً دينياً ومنقذاً قومياً فى آن واحد . فأنا أحترمه (ص)
كنبى جاءنا بالهدى والرحمة ، وأنضوى الى لوائه كمنقذ لهذا الشرق
من إفسار الفرس والرومان ، وأنا أرى فى الدين الاسلامى قوة
للشرق فى جهاده القومى يجب استغلالها ، واذا لم يكن للقرآن من
يد إلا صيانة لغتنا — واللغة أجل مظاهر القومية — لكفاه
ذلك فضيلة محمد ، ويداً تشكر .

فاعترافاً بفضل محمد وقرآنه على العرب والعريية كتبت
ما كتبت ، وأكتب من طوال الفصول فى جرائد الفتح فى (مصر)
والاعتصام فى (حلب) والرابطة فى (دمشق) وسواها من الصحف
الاسلامية ، عدا رسائل وقصائد القومية فى بقية الصحف العربية .
وفى سبيل محمد وقرآنه لقيت وألقى ما أكابد من عنات
الجهل وسخر رجاله ، تخليت «الرياء» وساماً ، ورُميت بالكفر
والضلالة ، وقيل إننى أدارى الأكرثية فأصانع المسلمين ، وأنى
حزب القوة أنى كانت القوة ، وكان أشد أولئك الغاضبين عناتاً
وغيظاً ، كهل مسيحى يدعى «سمعان» قرأ لى مقالاً فى (الجزيرة)
فهزه الغضب حتى لقد هم بى لو استطاعنى ، ولكنى هزأت به
وترفعت عن خصامه ، فالى «سمعان» هذا ومن أخذ أخذه
صرفت وجه الخطاب فى مستهل القصيدة .

إننى مسيحى كما يحب «سمعان» أن أكون ، ولكنى
لا أرى فى مسيحيتى ما يمنعنى عن الاعتراف بهدى محمد ويده على
الانسانية والعرب !

ولعل الضلالة كل الضلالة أن نحصر الفضيلة والهدى فى دين من
الأديان ، فكل دين ميزاته ، ولكل دين فضائله ، ومرجع كل دين
الى الله (ولله ما فى السموات وما فى الأرض ، والى الله ترجع الأمور)

القصيدة

قد يقولون «شاعر نصرانى
» يتغنى هوى الرسول ويهذى
» ينتحى الجبهة القوية يحدو
» قسماً بالمسيح ، لوقام للشيطا
كذبوا والرسول ، لم يجر يوماً
ما تراءيت بالهوى ، بل سقانى
أوعار على فتى يعربى
أو ليس الرسول منقذ هذا (م)
صاح بالشرق واستثار بنيه
ومشوا للحياة تحت رايته السم
وبنوا مجدنا المؤثل صرحاً
وأثروا قصة الزمان فكانوا
أفكسنا لولا الرسول سوى العبد
أوليس الوفاء أن تخلص المذ
فالتحيات والسلام أبا القا

قل «لسمعان» إن ما فى عروقي
أتغنى بالحق ، والحق يا صا
إنما الشاعر الذى أنا منه
قد تعالى عن الرياء بريئاً
كل هذى الأديان — لو عقل النا
أخذته الغايات فانشعب السيه
فاذا الناس فى مريج من الأم
يترامون بالكبائر والاث
أيها الناس ! ما أتى الرسل للتف
كلنا مسلمون لله ، فحنا
كلنا صائرون لله يوماً
أندينون بعضكم ؟ من جباكم
فاتقوا الله ! واركوا الأمر لل
أم نراكم علمتم الغيب فأصدر

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

(١) الطية القصد والسبيل ، والمعنى أننا بتنا يكفر بعضنا بعضاً ويخطئ
بعضنا بعضاً ، ولو صدقنا جميعاً لكننا جميعاً من الكافرين !
(٢) إشارة الى قوله تعالى فى سورة الرحمن : « فاذا انشقت السماء
فكانت وردة كالدهان » .

لماذا أخفقت جمعية الأمم

في نشر السلام في العالم؟

للكاتب الإنجليزي الشهير H. G. Wells.

« ولز » من أعظم كتاب العالم اليوم ، أصالة رأى وقوة بيان ؛ يزيد كتاباته روعة نزعة الانسانية الصادقة التي تتجلى في كل ما يكتب . لا يشاطره مكانته الرفيعة في عالم الأدب الغربي من كتاب اللغة الانجليزية سوى « برناردشو » الكاتب الارلندي الشهير بنقده اللاذع . غير أنه يختلف عن « شو » في أنه لا يقتصر على هدم الأنظمة الاجتماعية التي يترأى له فسادها ، وإنما يكلف نفسه عناء خلق أنظمة جديدة تخلفها . فهو يهدم ليبني ، وينتقد ليصلح . من أحدث ما كتب « ولز » ومن أروع ما أنتج ، كتابه « شكل الأشياء القادمة » الذي بحث فيه ما يكون عليه العالم في سنة ٢١١٦ ؛ فقد تصور شخصاً يعيش في هذا التاريخ ، أخذ يدرس تطورات العالم الاجتماعية منذ سنة ١٩١٣ ، حيث انتهى ذلك التطور بحكومة عالمية يعيش فيها كل فرد سعيداً ، لا استبداد فيها ولا استبداد ، ولا احتكار ولا منافسة . وليُلم قراء الرسالة الذين لم تصل أيديهم الى هذا الكتاب ببعض ما فيه ، ترجمت فصلاً منه بالعنوان المذكور آنفاً ترجمة حرة مختصرة :

فقد قم في النار زيداً وبوباً ثم عميراً مقصورة في الجنان
جل سبحانه عن الشرك في الرأي وعلم المصير والسلطان !

منقذ الشرق ! قد أتيناك نشكو ضيعة الحق وانخزال الأمانى
فلحي فينا ميث العزائم وابعث نائرات الهدى ودُرس المباني
قد أضعنا ذاك التراث وضعنا في شعاب الحياة والوديان

منقذ الشرق ! أنت لم تنقذ المس لم دون المواطن النصراني
فجزاء الاحسان أن ينهض الشر ق جميعاً بواجب المهرجان
حمص (سورية) وصفي قرنفلي

بحث في الفصل السابق لهذا الفصل معاهدة فرساي بحثاً مستفيضاً وانتقدها انتقاداً مرأ ؛ ثم أخذ في هذا الفصل يشرح أسباب فشل جمعية الأمم كما يأتي :

« قبل أن نضرب صفحاً عن ذكر « ويلسون » ، ذلك الرجل الخيالي ، يجدر بنا أن نلفت الأنظار الى العوامل التي أدت الى فشله . لم تكن شخصيته مكتملة للميزات الضرورية لنجاح الهدف الذي كان يرمى اليه . ولكن هذا النقص يجب ألا يجعلنا نتناسى استحالة تحقيق مطمحه في ذلك الوقت .

فأنانيته الضيقة ، والروح الانتقامية التي عوملت بها دول أوربا الوسطى وما الى ذلك ، جعلت من الخطر مجابهة العالم غير المستعد آنئذ بجمعية أمم .

فلم يكن في ذلك الوقت استعداد فكري كاف لقبول نظام عالمي ؛ و « الحكومة العالمية » أو الحكومة الحديثة الحاضرة كانت مجرد فكرة غامضة لم تبحث جيداً . فلا ريب إذن أن ويلسون تسرع في خلقه جمعية الأمم ، إذ كان لازماً أن ينتشر علم النفس الاجتماعي ، وأن يطبق قبل القضاء على فوضى الحكومات الملكية واستبدالها بسلطة مركزية .

غير أن ويلسون الذي لم يسبرغور الواجب الذي ألقى على عاتقه ، ولم يحط بما يكتنفه من عقبات ، رأى من غير روية ولا تبصر ، انه من السهل عليه توحيد البشر . فقد حاول أن يرتق نظام ذلك الزمن البالي ، وأن يجيزه كنظام جديد .

لم يحلم بهذيب نظام النقد ، ولم يفكر بالحاجة الى انتشار النظام الاشتراكي في العالم ، وانقلاب النظم التريوية انقلاباً شاملاً ، قبل أن يكون في الامكان استقرار السلام في العالم . ولكن على الرغم من كل نقائصه يظهر أنه كان أبعد رجالات زمنه نظراً .

جمعية الأمم هذه غير الناجحة ، والعديمة الأثر ، لم تساعد على توطيد السلام الدولي ، وإنما على العكس من ذلك كانت حجر عثرة في سبيله ؛ إذ منعت الناس أن يفكروا تفكيراً حراً في هذا الموضوع .

ومن المؤسسات التي وجدت لمساعدة جمعية الأمم وعرقلة مساعي ناقيديها « جمعية الأمم البريطانية » فكانوا يقولون بأن

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

١ - كتاب نهج البلاغة

بقلم محمد محمد العزازی

ذلك الكتاب المنسوب إلى فارس الفصاحة وصيقل البلاغة وإمام الخطابة ، والضارب في ميدان البيان بما لم يلحقه فيه لاحق ، ولا وصل إليه سابق . أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . كتاب نابه الشأن ، رفيع القدر ، بليغ الموعظة ، صادق الحكمة ، قد توفرت عليه سنين طوالاً أقرأ ما بين دفتيه مرة وأخرى وثلاثة حتى بدت لي فيه آراء أردت بها تحقيق أمره . والكشف عن سره . مستنداً في بحثي إلى ما هدتني إليه الفكرة وطول المراس . . وجل الذي قيل في الكتاب كلمات مجمة . لا تشفى غليلاً ولا تقوم دليلاً ، فالشيعة على أن الكتاب بجملة وتفصيله لأمر المؤمنين على ، والمنصفون من النقدة والنظار على أن فيه ما هو مدخول منحول بدعوى أنه يتعرض لبعض الصحابة بالظعن والتجريح . . وهناك من يدعى أن الذي لعل من القلة بحيث لا يصح أن ينسب الكتاب إليه . وعلى كل فهذه كلمات - كما قلنا - مجمة

« وجود جمعية الأم خير من عدمه » . وقد فاتهم أن البدء الخاطيء أسوأ من عدمه .

في العشر سنين التي تلت الحرب العالمية لم تكن أفكار مجددة في السياسة العالمية يؤبه لها ، ولم يرجع البشر إلى بحث توحيد العالم ، إلا بعد أن ثبت لهم ثبوتاً لا شك فيه عدم صلاحية جمعية الأمم للغرض الذي كونت من أجله .

ظلت حركة « الحكومة العالمية » في الاثنى عشرة سنة التي تلت تلوح وتختفي . وكان من الضروري أن تتوحد جهود محبي السلام والشيوعيين والاشتراكيين ، وكل من سار على نهجهم من الذين حاولوا حل العضلات الاجتماعية ، وكانوا لا يزالون يقضون أوقاتهم في منازلة بعضهم وفي التراشق بالتهم .

وعلى كل فقد انقضى منتصف القرن العشرين قبل أن يتسع نطاق الدعاية في العالم « للحكومة الحديثة » .

نابلس

عبد القادر صالح

لاتشبع الباحث . ولا توقف الناظر عند حد أو تلزمه رأياً . وهذا ما يدعونا إلى بحث المسألة على ضوء العلم والأدب والحقيقة والتاريخ . والكتاب في جملة عالي الأسلوب فخمة العبارة صقيل الديباجة ، لطيف الروح يتحدر إلى النفس بسهولة . والذي يدور عليه الكلام في الكتاب كما يقول الرضى « أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ » وهذا تقسيم حسن ، والمعقول ألا يخرج كلام أمير المؤمنين عن هذا . . فأمير المؤمنين أحد رجالات الاسلام غير مدافع . وله في الفصاحة والشجاعة والفضل والنبيل يد طولى . بايع أبا بكر نزولاً على حكم الأجماع . ورضى بعمر نزولاً على اختيار أبي بكر ، وأخطأته الشورى بعد ابن الخطاب ، ثم انتهت إليه بعد عثمان . فكان أمير المؤمنين أربع سنين وتسعة أشهر أخذ يصلح فيها ما يراه فاسداً ويجمع كلمة المسلمين ويلم شعثهم . وقد نقض بعض الصحابة بيعته فكانت حروب . انتهى بعدها الحكم إلى معاوية بعد تنازل الحسن . فكل هذا يدعوا أمير المؤمنين إلى الخطب في شأنه . وفي صلاح المسلمين وفي رجال جيشه . يحثهم على الأخذ بحقهم ، ويستنفرهم للقاء عدوهم وإلى الأوامر يصدرها إلى عماله ورجاله وأعوانه . وإلى الكتب والرسائل يبعث بها إلى الثغور والعمال ، بل وتجري بينه وبين معارضيه ، كل يؤيد رأيه ويقيم حجته ويدعى الحق في جهته والباطل في جهة صاحبه . أما الحكم والمواعظ فأشياء كانت في نفس على غرسها فيها حب الصلاح للناس يلقيها عليهم يبين لهم طريق الهدى ومنارة الحق وينذركم بالله ويفهمهم المعاش والمعاد ، مما يدل على اخلاص على وطيبة نفسه وسمو روحه وكرم أخلاقه وقوة إيمانه وحبه للمسلمين . . .

ولكن الذي يعنيناهو : هل كل ما في الكتاب من خطب وأوامر وكتب ورسائل وحكم ومواعظ لأمر المؤمنين على ؟ أم أن فيه ما ليس له . . نريد أن نعرض أمام القارى صوراً مختلفة من الكتاب نشرحها له تشریحاً دقيقاً ثم نخرج على ما يهديننا إليه البحث . وليكن أول ما نعمل فيه البضع الخطبة الأولى من الكتاب التي يقول الرضى في عنوانها إنها خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم ، وعبارات هذه الخطبة منسجمة سيالة آخذة بعضها

وهي قوله في صفة الله (الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حد محدود . ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل محدود ... أول الدين معرفته ، وكال معرفته التصديق به . وكال التصديق به توحيده . وكال توحيده الأخلاص له ، وكال الأخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه . ومن ثناه فقد جزأه . ومن جزأه فقد جهله . ومن جهله فقد أشار إليه . ومن أشار إليه فقد حده . ومن حده فقد عده . ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه) . . هذه التنزيهات تجري على نسق بديع من البيان والمنطق وكلها عقائد كلية في علم الكلام .

وأهم ما يطالع الباحث فيها شيان : هما المحور الذي تدور عليه . والغرض الذي صيغت من أجله هما منع رؤية الله ونفي الصفات . فمنع الرؤية يؤخذ من العبارات الأولى ، لأن الإدراك قد نفي ، والرؤية أحد الإدراكات ، ولأنها تقتضي تكييفاً وقد دلل على بطلان التكييف . ولذلك نرى ابن أبي الحديد عند شرحه لهذا الكلام يطنطن في هذه المسألة ، ويدلل عليها بأدلة المعتزلة ، ويرد على الأشاعرة رداً قوياً ومعقولاً . وأما نفي الصفات فقد جاء صريحاً في قوله . « وكال الأخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » . . ونفي الصفات كلام جرى بين علماء الكلام وأخذ به المعتزلة — واحتدم فيه النزاع والجدال بينهم وبين الأشاعرة . والمعتزلة ينفون الصفات بدعوى أنها تثبت تعدد القدماء ، وأنه لا بد من تغاير بين الصفة والموصوف ، وأن الموصوف يسبق الصفة ، ولذلك يجرجون الأشاعرة فيسألونهم عن كيفية قيام الصفات بالذات ان كانت زائدة عنها . والذي يعنينا من هذا الكلام أن مسألة الرؤية ومسألة نفي الصفات لم تنشأ إلا بعد نشوء مذهب الاعتزال ، وإلا بعد أن اختلف واصل بن عطاء واستاذ الحسن البصري في مسألة الاختيار ومسألة مرتكب الكبيرة إن لم يتب . فلم يكن لهذه المسائل أثر في زمن علي . ولم يكن لعل أو الناس وقت يخلون فيه إلى نفوسهم ويفكرون في مثل هذه الأشياء . . وليس عندهم ما يدعونه إلى التفكير في هذه الأشياء . وإنما كانوا في زمن الرسول والخليفين من بعده يفكرون في الفتوح وفي انهاض الدين الجديد

بحجز بعض . وهي مبتدأة بتحميد بديع يعقبه تنزيه لله عما لا يليق به ، وكلام في معرفته مترتب على بعضه على مثال القضايا المنطقية ، ثم ذكر للخلق من ابتدائه إلى انتهائه على مثال ما في الكتب المقدسة ، وذكر لخلق آدم ومعصيته وخروجه من الجنة . وذكر لذريته في الأرض ، وكلام عن الأنبياء من أبنائه حتى انتهى إلى محمد وبعثه ؛ والقانون السماوي الذي نزل به ، وخص من ذلك الحق ، فتكلم فيه كلاماً كثيراً . ولو نظرنا إلى هذه الخطبة لوجدنا أسلوبها أقرب إلى الأسلوب التأليفي منه إلى الأسلوب الخطابي ، فهي خالية من الاندفاعات الخطابية ، ويظهر على عباراتها أنها وليدة التفكير ، فترتب العبارات على بعضها ترتباً مطرداً على مقتضى قوانين المنطق مما لا يتيسر في الخطابة ولا يتأتى في الارتجال ، وما كان على ليخطب غير مرتجل ، والتحميد الذي في أولها (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يحصى نعماء العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا غوص الفطن . الخ .)

هذا التحميد أشبه بالتحاميد التي تبدأ بها الكتب . وهو يخالف التحاميد في صدر الأسلام . وهو ملحق بتنزيهات كالتى تلحق التحاميد في العصر العباسي حتى ان في العصر العباسي ما يوافقه في المعنى ويكاد يشبهه في اللفظ ، ويجرى معه في النسق والترتيب والروح ، مما يجعلنا نرجح أنه من تحاميد ذلك العصر التي منها (الحمد لله المتعالى عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين . يوصف لا بالعرض والطول ، وينعت بغير الشبح المشول . ويحد لا بالخلق المعدود ، والجسم الموجود ، بل يتناهى من وصفه ، الى ما دل عليه من صنعه ، ويوقف من نعمته ، على ما أخبر به عن نفسه . وكيف يوصف من لم يره أحد ، أو يحد من لم يحده بلد ، أو يشبه غير ذى أعضاء ، أو يكيف غير ذى أجزاء . لورثي لوصف ، ولو وصف لمثل ، ولو مثل لكان له نظير الخ)^(١) فكل هذه التنزيهات من منع التحديد والرؤية ، ونفي الصفات على نسق واحد في التحميد . مما يجعلنا لانشك في أنها وليدة عصر واحد ، ونشك في أنها وليدة عصرين ، ثم لو قارنا هذا التحميد بتحميدات أمير المؤمنين التي يهدينا البحث الى أنها له . . لوجدنا بوناً شاسعاً في المعنى والأسلوب والروح مما يظهر منه أن القائل غير واحد . . ثم لنا نظرة في هذه التنزيهات

العلم الحديث ينصف العرب

العصور المظلمة

تسمية تاريخية خاطئة

للاستاذ بشير الشريفي

هذا هو الموضوع الطريف الذي أثاره في هذه الأيام الدكتور جورج سارتون أستاذ علم التاريخ في جامعة واشنطن ، واني أنقله فيما يلي كما تلخصته مجلة « أخبار العلم Science News » في عددها ٦٧٤ سنة ١٩٣٤

« ليعلم المؤرخون المعاصرون بأن « العصور المظلمة » لم توجد حقيقة ؛ من الجائز أن غربي أوروبا قد عانى المتاعب خلال القرن السادس حتى العاشر الميلادي من جراء تراجع الثقافة الرومانية التي لم ينعم بها غربي أوروبا إلا زمنًا قليلًا ؛ وإن المشعل الروماني قد همد تحت أقدام البرابرة المهاجرين ؛ ولكن نور الثقافة لم يخبم أبدًا في الأرض التي تطل على شرق البحر الأبيض المتوسط ، والتي هي الوطن الحقيقي والطبيعي لما نسميه خطأ « بالمدنية الغربية » لقد انتقل مصباح الثقافة الدرّي من أبنى اليونان البيزنطيين إلى أيدي العرب الفاتحين المؤمنين بالله وبمحمد ، وكان في أيديهم أكثر تألقًا وبهاء .

إن سبب اضطراب آراء مؤرخي القرون الوسطى هو أنهم وإن كانوا يجيدون اللغة اللاتينية ، فقد كانوا يجهلون اللغة العربية جهلاً تاماً ، على حين كان كل تقدم في العلم والثقافة ، يسجل منذ عهد محمد حتى منتصف القرن الثاني عشر باللغة العربية .

ولكن هذا لا يعني بأن مدنية الاسلام المشرقة التي امتدت من قلب الهند حتى منتهى غربي أسبانيا المتوحش كانت من عمل الفاتحين خصب ؛ يقول الدكتور سارتون ، إن العرب أول من نزلوا الميدان أسياداً للعالم ، لم يكونوا أحسن ثقافة من قبائل الهند الغربية ، ولكنهم كانوا ذوي أهبة ممتازة فاقتبسوا بسرعة عجيبة كل ما يمكن اقتباسه من مدنية البيزنطيين ، واستطاعوا في خلال جيلين اثنين فقط أن يرتقوا في العلم منزلة لم يرتق إليها أحد

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

وأغاب الخلاف كان في فروع الأحكام لا في أصول العقائد . (١) وفي زمن الخليفة الثالث حصلت فتن سياسية أفضت الى قتله . ولم تكن هذه الفتن لتترك الناس يفكرون في مثل هذه العقائد ، وفي زمن على قام الخلاف بين أمير المؤمنين وبين ناقضي بيعته فاشتعلت به نار الحرب وانتهى الأمر إلى الأمويين . وحصل بهذا الانقسام خلاف جديد لا في الاشياء التي نحن بصدددها وإنما في شيء آخر هو الامامة ، انقسم الناس به إلى شيعة وخوارج ومعتدلين . . . فالمعقول إذن والمعروف من التاريخ السياسي وتاريخ علم الكلام أن هذه العقائد جاءت متأخرة عن على وزمن على وأنها نشأت بعد نشوء مذهب الاعتزال وصارت من مسائله وكمالياته . . . فالدليل ناهض والحجة ناصعة على أن علياً لم يقل هذه العبارات ولا نشأت في عصره . . . وربما كان الرضى قائلها . أو أنها وقعت للرضي منسوبة للأمام فالحقها بالكتاب

وبنظرة في هذه العبارات نجد أنها عبارات تأليفية محضة ، فعبارة (نفي الصفات) وعبارة (لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف الخ) هي بعينها الجارية على السنة المؤلفين والباحثين في علم الكلام حتى أن ابن أبي الحديد يقول عند العبارة الأخيرة هذا دليل المعتزلة بعينه . . . ويظهر على هذه العبارات بأجمعها أنها جاءت وليدة جدل وبحث ، وأن فيها تكلفاً محسوساً جاء من إقامة الدليل المنطقي ومن قرع الحجة بأختها مما يشهد على أن هذا الكلام من أحد المتحمسين لهذا المذهب . والمناخين عنه وأنه حدث بعد احتدام الجدل بين الفريقين ؟

محمد محمد الفزاري

« يتبع » — أبو حماد

(١) رسالة التوحيد . والملل والنحل

الرسالة في شهر الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة

العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهري بواقع

أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

الأفعال المفقودة أو الفلتات

Les actes manqués

للدكتور عبد الفتاح سلامة

إذا كانت الأمثلة السائرة والقصص المتداولة بين الجمهور تدل على شيء ، فانما يكون ذلك لأنها نتيجة لتجارب كثيرة ، لمس كل فرد حقيقتها ، وعرف مقدار الحكمة فيها ، ويمكن له الاستفادة منها بتطبيقها على ما قد يصادفه من حوادث . وقد تكون القصة الآتية واحدة من هذه القصص ، وإنا لنذكرها هنا لأنها تحتوى على فعل مفقود أو فلتة . وإذا عرفنا أن راوى هذه القصة هو أحد رجال البوليس فان من السهل معرفة الى أى حد يمكن للبوليس والقضاء الاستفادة من هذه الفلتات .

قال صديقنا — والعهد على الراوى — إن اثنين كانا يسيران فى جهة بعيدة عن العمران فأراد أحدهما اغتيال الآخر ، وبعد أن استعطفه دون جدوى قال له : وهل تظن أنك ناج من القصاص ؟ فأجابه : ولم لا ؟ فقال المسكين : « الهوا يخبر » . ولكنه قتله

من قبلهم ، وكذلك برهنت الثقافة التى نشروها على أنها توافق طبيعة كل الشعوب .

إن تكيف العرب لعلوم اليونان وتوسيعهم لفنونهم قد بلغ بهم الذروة فى الفلك والرياضيات والطب والطبيعات والكيمياء ، وهم لم يقتصروا على نشر الثقافة فيما بينهم ، بل نشروها خارج مملكتهم . إن موسى بن ميمون أعظم فلاسفة اليهود ، لم يكن يكتب بالعبرية ، بل بالعربية ، ومن المسلم به الآن أن تأثير العرب كان قوياً فى نجاح القديس توماس أكونياس مؤسس مناهج الدرس فى العصور الوسطى Scholastieism التى تعتبر بحق جسراً بين تفكير القرون الوسطى والتفكير الحديث .

وعلى ذلك فان سلسلة الثقافة ظلت تامة ولم تنقطع من عهد اليونان الى ثقافة العرب الى مدينة أوروبا الحديثة .

شرقي الأردن

بشير التريفي
الحامى

ووارى جثته التراب ورجع وحده الى بلده ؛ ولم يهتد أحد الى مقر القتل المسكين . مضى على ذلك وقت غير قصير ، واطمان القاتل الى النجاة . وفى ذات ليلة قمرية جميلة جلس القاتل وزوجه يتبادلان الحديث — والحديث ذو شجون — وتوالت الأفكار على رأسه ، واذا به يتسم فى غير موضع للابتسام ، واذا بزوجه تصر على معرفة سبب الابتسام ، فيقول لها إنه تذكر كلمة قالها رجل معتوه أثناء قتله ، وهذه الكلمة هى (الهوا يخبر) .

فلا تزال هى به حتى يعترف لها بكل شيء يتعلق بالجريمة وبمكان الجثة . فالابتسام إذن هو الفلتة التى كشفت سرّاً كان يحرس على كتمانها ؛ وهى التى حققت المثل القائل : « مهما تبطن ، تظهره الأيام » . ولا حاجة بنا الى القول بأن فلتات مشابهة لهذه قد اضطرت الزوجة الى الاعتراف الى صديقة لها ، وهكذا شاع الأمر وأمكن إدانة القاتل . ولعلنا نكون قد توصلنا بإيراد هذه القصة الى إيضاح مانقصد من كلمة « فلتات ، أو أفعال مفقودة » ، إذ أننا بعد أن تكلمنا عن تأثير الايحاء فى بعض الأمراض العصبية وكذلك فى بعض الأمراض الأخرى ، نود أن نتكلم عن التحليل النفسى ، لأنه هو الوسيلة الوحيدة للكشف عن المشادة اللاشعورية ، وهى التى تحدث بين ذلك الشيطان — اللاشعور — والنفس .

ويكون التحليل النفسى ممكناً بالمناقشة والاستفادة من الفلتات ومن الأحلام ومن الأعراض عند المرضى . وقد سبق أن تكلمنا عن تفسير الأحلام التحليلي .

أما الفلتات أو الأفعال المفقودة فانها أفعال تصدر فى الغالب عن غير إرادة الانسان ، كأن ينطق فى سياق حديثه بكلمة لا يريد بها ، وقد ينتبه أو لا ينتبه الى ما صدر منه ، (فلتة لفظية) . أو قد يكتب كلمة غير التى يريد كتابتها ، أو قد ينسى كلمة كان يود أن يكتبها ، (فلتة كتابية) . وقد ينسى الانسان شيئاً كان يذكره منذ لحظة قصيرة ، فيبحث عن قلم وهو فى يده ، أو يريد أن يتذكر اسم شخص أو بلد كان يعرفهما تماماً ، ولكنه لا يمكن له ذلك ، (فلتة من فلتات الذاكرة ، وهو ما نسميه بالنسيان) .

وكذلك قد نتحدث الى شخص وهو منتبه اليك ، ولكنه لا يلبث أن يسرح ببصره فى الفضاء ، أو أن يتغير لونه ، أو أن يلعب بأصابعه فى أى شيء ، ثم يسألك أو لا يسألك بعد ذلك عما كنت تتحدث به اليه لأنه (لم يأخذ باله) . وهذا بالطبع معناه أنه حدث له ما صرف انتباهه الى ناحية أخرى .

التي سببت اكتشاف سره، ونرى هل هي الأخرى وليدة رغبتي
عنده؟ وهل في هاتين الرغبتين ما يدل على التعارض؟ وإلى أى حد
يمكن استخدام الفلتات في الكشف عن خفايا نفسية المجرم؟
فلقد جلس هذا إلى زوجه وعنده رغبتيان: الأولى حب الظهور
بالبطولة، وإظهار بأسه وقوته. والثانية حب كتمانها لما فعل خوفاً
من تسرب الأخبار والوقوع تحت طائلة العقاب، فهو إذن بين
رغبتين تتنازعانه، وبينما تشدد رغبة النجاة في كبت رغبة
الزهو والاعتداد بالنفس إذا بهذه الرغبة الأخيرة تنتهز الفرصة
للظهور في وقت ضعف الرغبة الأولى تحت تأثير الهوى. وهكذا
يتحقق الزهو والفخر، ولكن هذا التحقق ان هو إلا تحقق رمزي
وذلك بالابتسام، وما الابتسام إلا رمز الانتصار، لأن رغبة النجاة
مهما ضعفت فإنها لا تسمح بالاعتراف والفخر الصريح. وهكذا
كان، فقد ابتسم الرجل في غير موضع الابتسام، ولكنه مع ذلك
يأبى الاعتراف الصريح أولاً. وهنا نرى الزوجة تقوم بدور المحلل
النفسى فتستخلص منه ما كان يأبى الاعتراف به.

وإذا كنا فيما سبق قد قلنا إن الشعراء والأدباء والفنانين
يستخدمون الخيال، فإن ذلك من دواعي الفخر لهم، لأن التخيل
ممکن وموجود عند كل إنسان، وإنما امتاز هؤلاء بإمكان استخدام
خيالهم وتحقيق أحلامهم على صورة رمزية جميلة تأخذ بالألباب.
وفوق ذلك فإن لهم من حسن الذوق ودقة الحس ما يسمح لهم
بملاحظة كل ما يمر أمامهم من دقائق الحياة، وهكذا فإن الأفعال
المفقودة أو الفلتات لم تفت عليهم، بل انهم استخدموا هذه الأفعال
لتجميل الأسلوب وتوضيح المقصود، وقد أظهر لنا فرويد مثليين
من ذلك. ففي رواية تاجر البندقية لشكسبير تقول بورشيا
لبسانيو الذى يتقدم إلى الصناديق الثلاثة ليحرب حظه في نيل
يدها «إن عينك هذه تقسمنى إلى نصفين. فالنصف الأول لك
وأما النصف الثانى فهو لك... أريد فهو لى». والسبب في
هذه الفلته الكلامية هو أن بورشيا تريد أن تقول إنها كلها له.
وفي رواية أخرى. يقول كاستنبرج لا وكتافيو. (إلى أين أنت
ذاهب). فيجيب اوكتافيو (إليها... إلى الدوق هيا بنا)
والسبب في هذه الفلته أيضاً هو رغبة اوكتافيو في اللحاق بالفتاة
التي يحبها.

فلماذا لفظ الإنسان أو كتب ما لا يريد؟ ولماذا نسى ما كان
يعرفه تماماً منذ لحظة قصيرة؟ السبب في ذلك هو في وجود
رغبتين عند الإنسان، وفي أن إحداها مكبوتة *refoulee*، والرغبة
المكبوتة قد تكون لاشعورية أو شعورية أو تمييزية كذلك،
ولكنها في الغالب رغبة لاشعورية، حيث لا يعرف عنها صاحبها
شيئاً إلا بعد التحليل. أما إذا كانت شعورية أو تمييزية فإن
صاحبها ليس في احتياج إلى تحليل لمعرفة ما. هذا فيما يتعلق بالرغبة
المكبوتة. أما الرغبة الأخرى فإنها في الغالب رغبة تمييزية،
ولكنها قد تكون شعورية أو لاشعورية كذلك؛ فصاحب
الفعل المفقود إذن يجد نفسه أمام رغبتيين، وهو في أثناء تعبيره
عن الرغبة غير المكبوتة عنده تتحين الرغبة المكبوتة أى فرصة
للظهور، وهى عند ما تسنح لها هذه الفرصة تجد سبيلها إلى الظهور
بواسطة أى لفظ أو حركة تم عليها، وهذا اللفظ أو الحركة هو ما
نسميه الفلته أو الفعل المفقود أو الفعل غير الإرادى *acte manqué*
أو *lapsus*

ومع أن الفعل المفقود قد أظهر الرغبة المكبوتة فإنه لم يتمكن
من تنفيذ هذه الرغبة، لأن الإنسان سرعان ما يستنكر صدور
هذه الفلته منه، ويتساءل كيف أخطأ في تعبيره. والواقع أن
الرغبة المكبوتة وهى التى سببت هذه الفلته قد اكتفت بهذا
التحقق الرمزي أو التلميحى بواسطة الفعل المفقود، لأن التحقق
الفعلى تأباه عليها ظروف الحياة، فهو إذن غير ممكن لها. وهكذا
تكتفى الرغبة المكبوتة بالأوهام بدلاً من الحقيقة الواقعة، ومثلها
في ذلك مثل الأفكار الذاتية التى سبق أن تكلمنا عنها سواء
بسواء. لأن الرغبة المكبوتة مهما كانت شعورية أو تمييزية فإنها
في الأصل من اللاشعور، وهو الذى يكتفى في تنفيذ رغباته بالأوهام.
وأما الفرص التى تنتهزها الرغبة المكبوتة فهى كثيرة:
فالتعب واهتياج الشعور والاجتهاد الفكرى وكل ما من شأنه أن
يقلل من انتباه الإنسان يساعد على إيجاد هذه الأفعال المفقودة.

والرغبتان اللتان نشأ عنهما الفعل المفقود قد تكونان متعارضتين،
فيكون اللفظ إذن عكس ما كان يراد تماماً، وقد تكون إحدى
الرغبتين معدلة للأخرى أو مكملة أو مؤكدة لها؛ وسندكر فيما بعد
بعض الأمثلة على كل نوع منها. ولنرجع الآن إلى ابتسامه القاتل

وكل ما يبينه الخيال من تصورات وأمان ، وإذا كنا قد ذكرنا الفنان هنا فإن من الانصاف أن نقول إنه عرف كيف يسمو برغبته ذلك السمو البارع الجميل .

ولا يمكن أن يكون هذا الموضوع تاماً إلا إذا تكلمنا عن المسألة الجنسية ، وعن قصة أوديب الملك كما ينظر إليها فرويد ، وهذا ما نرجو أن تتمكن من إيضاحه فيما بعد ، إلا أن ماسبق أن أوردناه يسمح لنا أن نقول إن الأيحاء وحده لا يمكن أن يثمر الشفاء التام الدائم إلا إذا سبقه التحليل والكشف عن الرغبات الكامنة السالفة الذكر . ولنرجع الآن إلى الموضوع الذي يشغلنا وهو الفلتات أو الأفعال المفقودة . فقد بينا أن هذه الفلتات قد تكون كلامية . كأن يذكر كلمة غير التي كان يود أن يقولها أو يقرأها إذا كان يتكلم أو يقرأ من أي ورقة أو كتاب . أو فلتة سماعية ، كأن يسمع كلمة غير التي قيلت له أو بمعنى آخر يتخيل سماع الكلمة المعينة ، أو فلتة كتابية كأن يكتب غير الكلمة التي كان يريد كتابتها أو يمحو كلمة غير التي كان يريد محوها . أو فلتة من فلتات الذاكرة وهو ما نسميه بالنسيان — وقلنا إننا سندكر بعض الأمثلة على كل هذا ، وأن الكلمة الخطأ قد تكون عكس الكلمة المطلوبة — المخالفة قد تكون في ترتيب الحروف وفي معنى الكلمة — أو معدلة لها أو كلمة مدغومة في غيرها . الخ والواقع أن الأمثلة على كل نوع منها كثيرة ولا تدخل تحت حصر ، ومن منا لم يسمع أو يلاحظ الكثير منها في كل يوم وفي كل مكان ؟ . ولهذا فاني أترك الأمثلة لمن يود أن يلاحظ بنفسه هذه الفلتات وأن يتعرف إلى الغرض الذي حدثت من أجله . وأتكلم الآن عن فلتات الذاكرة أو النسيان ، فقد أخبرني صديق لي أنه أراد مرة أن يتحدث عن شخص عرفه من مدة قريبة وعرف اسمه وسمع ذلك الاسم مراراً ، ولكنه مع ذلك كان ينسى اسمه كلما أراد أن يتحدث عنه . وبعد جهد في محاولة استدكار الاسم فانه يذكر اسماً آخر على أنه الاسم المطلوب — وهكذا يسمى صديق ذلك الشخص (شافعي) دائماً بدل اسمه الحقيقي ، وذلك بعد جهد في التذكر بدون جدوى ، وهو إذ يقول إن اسمه شافعي لا يقولها بصفة التأكيد أيضاً في كثير من الأحيان : وفي ذات مرة بعد لحظة قصيرة من التأملات أخذت الأفكار تتوالى على

وأما النكت والفكاهات التي تقال على البديهة فانها نوع آخر من الأفعال المفقودة ، إلا أن قائلها يتذرع بالضحك لستر رغبته الكامنة ، ومع ذلك فان هذه الرغبات كثيراً ما تكتفي حقيقة بالأوهام ، فلا تصر على التنفيذ الحقيقي لها ، وإنما تكتفي بالرموز والتلميح كما تقدم .

ويمكن استخدام هذه الأفعال في انتخاب الأسئلة المخرجة وفي توجيه الاتهامات والمناقشة إلى الهدف الذي يرمى إليه المحقق ، أما فيما يتعلق بالمرضى فان التحليل النفسي لا يطمع من المريض أن يعترف برغبته اللاشعورية ، ولكنه يطمع فقط في أن يعرف المريض رغبته في أثناء المناقشة معه ، ولو أنه قد ينكرها بتاتاً ، وقد يكون ذلك الانكار خجلاً أو لأي سبب آخر ، ولكن إنكاره هذا لا يمنع من وصول رغبته إلى الشعور ، ومن ثم إلى التمييز لمناقشتها . فليس الاعتراف إذن ضرورياً للشفاء مادامت الرغبة قد وصلت إلى التمييز ، والانكار نفسه قد يكون طريقة من طرق السمو بالرغبة ، وهذا السمو هو في الواقع ميزة من ميزات التحليل النفسي ومن أجلها يفضل على الإيحاء . والرغبة المحرمة يسمو بها الانسان إذا صورها وعدلها فاصبحت غير مخالفة لنظام المجتمع وتقاليده . فقد يفكر الانسان في الاضرار بأي شخص كان لكرهه له ، وذلك إظهاراً لمقدرته على البطش والأذى ، ولكنه قد يسمو فيكتفي فقط بإظهار قدرته على الأذى ثم يعفو ويتسامح بعد ذلك . وهذا هو ما يحدث تماماً عند ما يسمو المريض العصبي برغبته . ولكن رغبة هذا المريض العصبي ليست من هذا النوع البسيط من الرغبات فانها هي والرغبات التي تتجلى في الأحلام والتي تملئ على الفنان فنه ليست إلا رغبات جنسية تتعلق بأشخاص من ذوي القربى ، وقد عرف كل من المريض العصبي ، وصاحب الرؤيا ، ورجل الفن طريقه إلى تحقيق رغبته . وإن كان هذا التحقيق رمزياً مشوهاً لا يدل في الظاهر على أي رغبة محرمة ، ولكن التحليل في كل الحالات قد أثبت أن أعراض المريض والرؤيا ومنتجات الفن ليست إلا هذا التحقيق الرمزي المشوه لهذه الرغبات . فالرغبة المحرمة المجهولة لصاحبها لأنها مكبوتة بفعل الضمير هي أصل كل أعراض المرض ، وهي أصل الرؤيا ، وهي التي توحى الفن إلى الفنان ، بل هي سبب التخيل

عقله ولم يكن يقصد أن يتذكر الاسم الذي ينساه دائماً وإذا به يصيح فجأة إن اسمه (شلي)

نعم . هذا هو ما حدث لصديقي ، وأراد أن يعرف لماذا نسي ذلك الاسم ، ثم لماذا ذكر شافعي بدل شلي مع شكه أيضاً في أن ذلك هو اسمه الحقيقي . ولما سأله أن يذكر لي كل ما يعرفه عن أي شخص آخر يسمى بنفس هذا الاسم (شلي) أخبرني أنه كان يعرف شخصاً بهذا الاسم ولكن لم تكن بينهما صداقة ما . بل بالعكس فأنهما كانا متنافرين — هذا يفسر لنا نسيان الاسم (شلي) ولكنه لا يفسر لماذا يسميه شافعي في كثير من الأحيان فسأله أن يذكر لي شيئاً عمن يعرفهم باسم شافعي هذا . وهنا صاح متعجباً أنه يعرف شخصاً محترماً بهذا الاسم وأن هذا الشخص المحترم (شافعي) من حيث الخلقة والشكل العمومي يشبه (شلي) ذلك الشخص المكروه الذي مضى على معرفته إياه وقطعه كل علاقة به زمن طويل — هذا هو اذن سر ابدال الاسم ، وهو جواب ما كان يسأل عنه .

وقد ذكر فرويد أن رجلاً كان بينه وبين زوجته نفور ، ولكنه لم يكن قد صارحها بأي شيء ، وهي مع ذلك تحبه وتخلص له . وقد أهدته كتاباً شيقاً في نظرها ليقراه . ولكنه وضعه في جهة معينة ولما أراد البحث عنه لقراءته لم يتمكن من تذكر المكان الذي وضعه فيه رغم كل الجهود التي بذلها في هذا السبيل . ثم حدث أن والدته مرضت مرضاً شديداً أحمل زوجته على أن تعتني بها وتمرضها ، وكان من نتيجة ذلك أن شعر الزوج بشكره لزوجته لعنايتها بوالدته ، وتحول هذا الشكر الى تقدير ، ثم رجع الحب الى سابق عهده . ثم لما رجع الى بيته ذات يوم فتح درجاً من أدراج المكتب بدون أي فكرة عن امكان العثور على الكتاب ولكنه لدهشته وجده فيه ، رغم مضي أكثر من ستة أشهر على وجوده فيه ، وبحته عنه على جملة مرات في هذه المدة .

أليست عوامل المودة والنفور هي التي تؤثر في النسيان والتذكر وحدها ؟ فأننا سبق أن تكلمنا عن فعل الضمير في هذا الشأن ، وكيف أنه يكبت الرغبة فيردها الى اللا شعور ، ولست في حاجة الى القول بأن الإنسان لا يذكر أو بمعنى آخر لا يشعر إلا بما يعرفه الجزء الشعوري من عقله . فكل فكرة تتمكن من الوصول الى

الشعور فهي شعورية ، أي أن الإنسان يعرفها ويذكرها ، وكل فكرة ترتد الى اللا شعور أو تحفظ فيه فهي فكرة لاشعورية لا يعرفها الإنسان ولا يذكر الحوادث المتعلقة بها . على أنه من السهل التنقيب عما يوجد في ذلك المخزن — اللا شعور — اذا ترك الإنسان لحرية تفكيره العنان ، فلا يعترض حرية التفكير هذه بنقد أو تجريح ولا يرمي أي فكرة تأتي اليه بأنها غير معقولة أو غير جائزة أو الخ . . . بل يترك نفسه للتفكير فلا تلبث الأفكار إذن أن تتوالى كما يقول المثل — الشيء بالشيء يذكر — لأننا سبق أن بينا أن الأفكار والرغبات مسجلة على قواعـد الأصطحاب والقرينة ، أي أن الأشياء المتشابهة أو المتضادة والمتقاربة والمتباعدة مسجلة بالقرب من بعضها ، واذا ذكر أحدها فلا بد من تذكر الآخر . واذا ذكر الإنسان صديقه فلا يلبث أن يذكر أشياء كثيرة معه كبيته أو المقهى الذي يجلسان به أو الكلام الذي حدث بينهما ، واذا تذكر هذا المقهى فقد يذكر مقهى آخر في أوروبا أو أي بلد آخر ، ويذكر معه الحوادث التي مرت به في هذا المقهى الآخر وهلم جرا .

فاذا كانت الفلتات تخدم التحليل النفسي لأنها توجه نظر المحلل الى وجهات مهمة فتوحى اليه بالأسئلة الواجب القاؤها على المريض ، وهذا يتطلب من المحلل ذهنًا صافياً وفكرًا سليماً ، فان على المريض واجباً آخر يجب عليه أن يراعاه ، وهو أن يلتزم الأخلاص في كل اجاباته على الأسئلة التي توجه اليه ، ويجب أن يعلم أن مقدار اخلاصه هذا يعرفه الطبيب المحلل نفسه . وفوق ذلك فانه يجب أن يترك أفكاره حرة من كل قيد فيجيب بكل ما يخطر على باله بصرف النظر عن موافقة ذلك للمعقول والجائر أو مخالفته لهما .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن شاعرنا شوقي بك في روايته الخالدة « مجنون ليلى » قد ذكر فلتة على لسان ليلى العامرية ، فقد ذكرت المسكينة اسم قيس مرتين دون أن تشعر ، ولما نهتها زميلة لها الى ذلك قالت : وأي شيء في ذلك لو ذكرت قيساً ثلاثاً . ثم قالت « يا قيس ناجي باسمك القلب اللسان فعثر » .

٩- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

مجلد افندی اکمل

هو محمد أكمل بن عبد الغني بك فكري بن لطف الله بن حسين ، الشاعر الأديب الطريف ؛ ولد بالقاهرة ونشأ بها واعتنى والده بتعليمه وتهذيبه ، ثم أدخله في الديوان الخديوي للتعليم كتلميذ ، وكان من كبار كتاب هذا الديوان مدة الخديو اسماعيل باشا ، فجود الخط به وألم باللغة التركية ، وكانت له حدة بظهره شوهت خلقه ، ورأى والده أن لا مطمع في استخدامه بمنصب لائق ، لحديثه وقصر قامته ، فاستحسن له طلب العلم بالأزهر ، وكان يرجو أن يكون من كبار العلماء ، فلزم الطلب به وقرأ النحو والعلوم العربية على الشيخ أحمد المنصوري ، والشيخ محمد البجيرمي ، وكان أحذب مثله ، وكثيراً ما كان يقعه بجواره في حلقة الدرس . ثم انقطع عن الطلب ولازم والده ، وكان والده جماعة للكتب ، مغالياً في اقتنائها شراء واستنساخاً ، ينفق عليها جل ما يصل ليد ، ويحيي الليالي في مقابلة ما يستنسخه منها وتصحيحه وضبطه ، فكان المترجم يعاونه في ذلك ، واطلع بهذا السبب على كثير من الكتب العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، وعاشر من كان يجتمع بوالده من العلماء والأدباء وتردد عليهم واستفاد منهم ، وعرف مدة طلبه بالأزهر كثيراً من أدبائه وشعرائه المجيدين كالشيخ عبد الرحمن قرآنة ، والشيخ أحمد مفتاح وحفني بك ناصف وغيرهم ، فاستفاد منهم أيضاً ، ونظم الشعر والزجل وأدوار الغناء ، واشتهر بحسن المحاضرة وملاحة التندير وسرعة الجواب وخفة الروح ، وكان كثيراً ما يجعل محور تنديره دائراً على حديثه ، فيأتي بما يضحك الثكلى ، بل كان لا يأنف من ذكرها في شعره ، كقوله من زجل في الوباء الذي حل بمصر أوائل سنة ١٣٢٠ وما فعله الأطباء من الهجوم على الدور وترويع ربات الخدور :

شاعرٌ ونائرٌ زجالٌ عالٌ فنّ الأدب فیده (١) لعبه
لطيفٌ زكيٌ وفهمه سيالٌ ورقته من الله وهبه
مخلصٌ لا خواؤه وميالٌ نادرة زمانه وله حده
ما فيهش عيب ظاهر معروفٌ قصيرٌ ولكن فيه أقصر
واللي يعيش ياما يشوف واللي ييمشي يشوف أكثر
ومن ولوعه بحديثه شرع في جمع كتاب في نوادر الحدبان
وما قيل فيهم من الأشعار ، وتراجم مشهورهم ، أخبرني أنه جمع منه جزءاً إلا أنه لم يتمه

ونقل والده مدة محمد توفيق باشا الخديو من الديوان إلى المحاكم الأهلية قاضياً ، وتوفي يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم سنة ١٣٠٧ وخلف له ولاخوته ضيعة بالصعيد أصاب المترجم منها ستون (فداناً) باعها وبدد ثمنها بالاسراف حتى احتاج للاستخدام بديوان الأوقاف بمرتب قليل دون الكفاف ، وعاش في ضيق ومضض بعد ما تعود من السعة والرفاهية ، وأخذ يتقرب للخديو بنظم التواريخ في كل عيد واحتفال وحل وترحال وينشرها في صحف الأخبار رجاء أن تبلغه فيأخذ بيده فلم يستفد شيئاً وراح تغزله في الریح ، وكان قصر شعره في أواخر عمره على هذه التواريخ فنظم منها الغث والسمين . وكنا إذا قرب عيد أو سفر أو قدوم للخديو لا ننتفع به لاشتغاله بالنظم والحساب وإعمال الروية فيصير هذا ديدنه في غدوه ورواحه وقيامه وقعوده حتى يمن الله عليه بشيء يرتضيه

وترك له والده غير الضيعة داراً بسوق الزلط بيعت أيضاً ، وترك خزانة كتب كبيرة قل أن تضارعها خزانة في نقائس الكتب ونوادر الأسفار ، وهي التي أفنى عمره وماله في جمعها ، وأتعب نفسه في تصحيحها وضبطها ، وصبغ الورق وصقله لنسخ ما كان يستنسخه منها ، فوق ما كان يتكلفه من السعي في البحث عنها في الخزائن المهجورة وعند الوراقين ، واتخذ له في داره مصنفاً للتجليد ، واستخدم عدة نساخ أجرى عليهم المرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لسواه ، وكان هو وعبد الحميد بك نافع من أدباء القرن الثالث عشر يتباريان في ذلك ويتسابقان . أخبرني المترجم عن والده أنه بلغه أن تاجراً من الوراقين قدم من سفر بكتب أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له وبينها ديوان البحري

معاً ثم ينصرف ، فتارة كنا نحني الليالي بمسامرات أدبية ومذاكرات علمية ، أو بمطالعة بعض الكتب ، وتارة بمقابلة ما كنت أستنسخه وتصحيحه ، وكان لا يمل من المقابلة معها يطل الوقت فيها ، ويقول هذا شيء دربنى عليه والدي وعودنى إياه من الصغر . وأشار على مرة استاذنا العلامة محمد محمود الشنقيطي أن أطلع أمالي أبي علي القالي مطالعة امعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كرايس عكفت على مطالعتها ، وأخبرت المترجم أنني سأحتجب عن الناس بضعة أيام حتى أستوفي ما بهذه الكرايس ، فغاب عني ثلاثة أيام ثم حضر ومعه زجل ، ينحى فيه على الأستاذ وعلى أبي علي القالي اللذين تسببا في انقطاعي عن الإخوان ويذكر فيه بعض من كان يجتمع بنا

وقد أطلعت على رسالة عندي جمعها الشيخ أحمد الفخماوي صاحب الخط الحسن ، المشهور بكتابة لزوم ما يلزم للمعري وسماها (بنات أفكار وعرائس أبكار في ألقاب أهل العصر) ذكر بها كني وألقاباً وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر عبد الحميد بك نافع ، وابراهيم افندي طاهر الشاعر الرقيق المشهور على سبيل المزاح والدعابة ، فلقبا كل واحد بلقب شاعر متقدم ، أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به ، أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، كتلقيبهما مصطفى افندي المنعوت بكامل بالعكوك ، لأنه كان قصيراً جداً معوج القدمين ، وتلقيبهما الشيخ محمد الرافعي الكبير شيخ رواق الشاميين بالأزهر وأحد كبار علمائه بملأ مسكين ، لأنه كان نحيفاً وبقوامه بعض احديداب يرى كأنه تواضع وانكسار ، وتلقيبهما عبد الغني بك أبا المترجم بالأخطل ، لأنه كان ضخماً الجسم كبير الهامة . فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع في وضع رسالة تماثلها في فضلاء عصره ، وسألني مشاركتة فيها كما فعل ذاك الأديبان فامتنعت خشية اللوم ، فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ذهب أغلبها عن الذهن لطول العهد ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل علي رفاعه باشا ابن رفاعه بك المشهور ، بابن المقفع لنحافته ودخول شذقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندي الأفغاني ، بالقدوري لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدوري اسم عالم من الحنفية مشهور . وكان الشيخ محمد الحفني المهدي ابن أخي مفتي مصر الشيخ العباسي المهدي ولماً بزم الناس

وكان إذ ذاك لم يطبع بل لا يعرف في مصر إلا باسمه ، فأسرع إليه وبذل له مالاً فوق قيمة الديوان على أن يعيره له يوماً وليلة فقط يطالع فيه ، فرضى وأعاره إياه ، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ففك له تجليده وأحضر في الحال عدة نسخ فرقه عليهم كرايس فنسخوه وقابلوه ، ولم يمض اليوم والليلة إلا وقد ردت النسخة الأصلية لصاحبها مجلدة كما كانت ، ثم قابله بعد ذلك عبد الحميد بك وأخذ يفاخره بوجود الديوان عنده واختصاصه به ، فقال له خفف عليك يا أخي هذا شيء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ، ثم أخرج له نسخة الديوان من الخزانة . وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض أصحابه أن بعضهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل ، وكان هو يتطلبها من زمن وينشدها فلا يجدها ، فلم يسعه إلا أن قام في الحال وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك حتى اهتدى إليها بعد ما مضى هزيع من الليل ، فأيقظه من نومه وسأله في الرسالة بقيمة فوق قيمتها ولم يمهله للصباح بل أنزله من الدار وذهب معه إلى حانوته ففتحه ليلاً وأخرجها له ولم يهدأ له بال حتى باتت الرسالة عنده . فلما مات عرض المترجم كتبه للبيع فبيعت وتفرقت واقتنى نفائسها ونوادرها الكونت لنديرج قنصل السويد بمصر ، وكان من مستعربي الأفرنج المولعين بجمع الكتب العربية ، وأدركت أنا أواخرها فاقنيت منها بضعة عشر كتاباً ، منها ما هو بخط عبد الغني بك نفسه ، وبجواشها آثار التصحيح واختلاف النسخ التي كان يقابلها بها وكان أول التقائي بالمترجم في دار ابن אחتي محمود توفيق بك ، وهي إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رجال الفضلاء ، فلما رأيته استغربت شكله واستمأحت محاضرتة ، ثم رأيته يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً في أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسي في درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على شيء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لي بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لي مماًزحاً : إذا ذكرت شيوذك فاذا كرتني معهم ولا تنسني . ثم تأهل بنت حنفي بك ، وكان لأسرتها نوع اتصال بنا ، فاتصلت المودة بيني وبينه بهذا السبب ، وازدادت ملازمته لي لما سكن بجوارنا ، فكان يزورني عصر كل يوم ويبقى حتى نسمر

منقباً عن معانيهم ، لهجاً بها في المجالس ، لم يسلم منه أحد حتى عمه ، واشتهر بذلك حتى أبغضه عارفوه وتحاموا عن الاجتماع به ، فلقبه بابن هرمة ، وهي كلمة سب عند العامة ، فقلت له هذا لا يستقيم لك لأن ابن هرمة الشاعر بفتح أوله فتأنف وقال لا أجد له لقباً ينطبق عليه غير هذا فدعني من شنقيطيتك . ثم لما فرغ منها سألتها عما لقب به نفسه ، ففكر وقال أحسن لقب ينزل على ابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالمقوتس . وضاعت هذه الرسالة فيما ضاع من أوراقه وأشعاره ، ويغلب على الظن أنه مرقها لأنه وقع له بسببها نفور بينه وبين بعض من لقبهم ، فانه لما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح سلامة طويته ، بالأبله البغدادي ، غضب منه وكاد يتفاقم الشريينهما ، وغضب منه صاحب آخر كان قصيراً ممتلاً يتدحدح في مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة ، فأخفى الرسالة لهذا السبب وطوى ذكرها .

وكان رحمه الله مجيداً في الزجل ، متقناً لصياغة الأدوار التي يتغنى بها ، وأكثر ما كان متداولاً منها بين المغنين في عصره كان من نظمه ، وأما شعره فالاجادة فيه قليلة إلا ما ضمته النكت والتنديرات العامية ، فمن أحسن ما وقفت عليه منه قوله من مرثية في صاحبه على رفاعة باشا

جزعت وللحر أن يجزعا وودعت صبرى إذ ودعا
وجادت عيوني على بخلها وحق لها اليوم أن تدمعا
وروع قلبي النوى بعد ما أمنت ومثلي كم روعا
لما الله يوماً أشاعوا به وقالوا أمير العلا شيعا
فما كان أصعب تأيينه وما كان أسوأ موقعا
وما كان حق البكاء ولكن فزعت ولا بدع أن أفزعا
تجرعت من هوله كل صاب وغيرى من الناس كم جرعنا
وما دار في خلدي أنى أرى البدر يرضى الثرى مضجعنا
ولكن شأن الزمان عجيب فما كان أضيع عهداً رعى
يقول النعمى على قضى ولم يدر أن العلا قد نى
نمى سيداً صيته طائر حوى الفضل في شخصه أجمعا
فدكت رواسى الدنى بعده وماد الزمان بما أودعا
وغابت شمس المعارف لما ذوى غصنه بعد ما أينعا
فقل للخطابة ذوبى أسي ولا تطلبي بعده مصقعا

وقل للكتابة لا تحفلى بمن يتبجح في المدعى
وقل للعلوم فقدت أميراً مضى تاركاً فضله مشرعاً
وقال مورياً باسم الطبيب سعد بك سامح :

ياسعد مالك معرضاً عنى وقلبي فيك طامح
إنى أتيتك قائلاً أنا نائب ياسعد سامح
وقال مورياً باسم محمد ثابت :

ان كنت في ريب بصدق محبتي وسمعت عنى ما تقول شامت
فاعلم فديتك دائماً انى على عهد المحبة يا محمد ثابت
ولما مرضت شقيقتي السيدة عائشة التيمورية وأحست بدنو الأجل نظمت في مرضها أبياتاً لتكتب على قبرها وتركت مصراع التاريخ لمن ينظمه بعدها وهي :

قد كنت عائشة فنوديت ارجمى للقبر مأوى كل حى فان
فأتيت صفراً الكف عن مرضاته ومقرة بالعجز والعصيان
جردت من ثوب الهدى لكنلى تاجاً من الاسلام والايمان
ونزلته مستشفعاً بمحمد وتوسلى عفواً من الرحمن
أصبحت ممن زار لحدى راجياً خير الدعا وتلاوة القرآن
لكم البقا إخوان ديني أرخوا

فنظم المترجم التاريخ بقوله : (قبر لعائشة سما بجنان)

٣٠٢ ٨١١ ١٠١ ١٠٦

١٣٢٠

وله غير ذلك مما ذهب عن الذهن الآن ، ولكثرة ممارسته للتواريخ الشعرية كان يأتى فيها أحياناً بغرائب في إبراز المقصود بدون حشو كقوله في تاريخ ولادة ولده عبد الغنى : (عبد الغنى ابن أكمل) .

وكانت وفاته فجأة قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢١ ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله تعالى .

مجموعة الستة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد في مصر وبخمسين قرشاً في البلدان الأخرى

مِنْ طَرَفِ الشَّعْرِ

تعالى

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

إِذَا ضَاعَ لَكَ الْحُلْمُ الذى عِشْتَ تُرَجِّيه
فَمَا تَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ وَلَا يُغْرِيكَ حَالِيهِ

لَقَدْ لَقَّنْتَنِي الْحُبَّ وَمَعْسُولَ أَغَانِيهِ
وَأَوْحَيْتَ لِي الشَّعْرَ وَمَنْ غَيْرُكَ يُوحِيهِ؟
وَنَجَوَى لَحْنِهِ الْبَاكِى وَأَنَاتِ قَوَافِيهِ

قَطَعْنَا الْعُمَرَ فِي الْحُبِّ وَفِي غَمْرَةٍ وَادِيهِ
فَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهُ سِوَى طَيْفٍ نُنَاجِيهِ
دمشق أنور العطار

ليلة الن ورق

لعبد العزيز افندى عتيق

ل ، واختال فى الرياض جميلا
سادر الخطو ، حائراً ، مخبولا
أنا من قد بحثت عنها طويلا
مثالاً كان شاعرياً ظليلاً ؟
يا حبيبي ، واجلس إلى قليلا
واسقني بالجمال والسحر شعراً

كيف جانبك روضك الفينا نا
كلما طفت بالمكان أثارت
وأرى القلب فى غيابك أمسى
أيها الغائب الذى خالط القلا
خذ ذراعى إلى ذراعك واصعد
رب ليل سهرته أثقل
أتسلت ؟ أم نسيت المكان ؟
وقفات الوداع منى الحنا نا
يا حبيبي موزعاً حيرانا
ب هواء ، تعال نحى هوانا
ربوة الأمس ، واسقني الألحانا
فيه وحدى ، وأشتكى الحرمانا !

ها هو الناي حالماً بالأغاني
ها هو الناي يا حبيب فؤادى
فاذا ما شغلت عنك بنفسى
فأعدها سحرية الأنغام
غن للحب ، للنفوس الطوامى
وبما هاج من هوى وضرام

تَعَالَى نَسْأَلُ الذِّكْرَى عَنْ الْحُبِّ وَمَاضِيهِ
وَعَنْ سِحْرِ لَيَالِيهِ وَعَنْ حُلُوِّ أَمَانِيهِ
حَكَايَا مَا تَبَيَّ تَهْلُ مِنْ ضِحْكَ وَتَمْوِيهِ
فَصَصْنَاهَا عَلَى قَلْبَيْنِ مَغْمُورَيْنِ بَالْتِيهِ
وَهَذَا اللَّيْلُ كَمْ أَصْغَى وَكَمْ أَصْغَتْ دَرَارِيهِ
لَقَدْ قَرَّبْنَا الْحُبَّ وَضَمَّتْنَا أَوَاحِيهِ
وَلَمْ تَنْوِ الْقَلَى أَهْلِي فَلِمَ أَهْلَكَ تَنْوِيهِ
حَيَاتِي مِنْكَ فِي نَوْحٍ وَتَعْذِيبٍ وَتَأْوِيهِ
فَهَلْ أَظْفَرُ فِي الْهَجْرِ بِطَيْفٍ مِنْكَ أَصْبِيهِ
أَفْدِيهِ بِأَحْلَامِي فَيَسْلِينِي وَأُسْلِيهِ
وَأُغْرِيه بِأَشْعَارِي فَيَبْكِينِي وَأَبْكِيهِ

وَكَمْ قَاسَمَنِ اللَّيْلُ أَنِينَا بَتْ أَخْفِيهِ
شَجَانِي مِنْهُ مَا أَشْجَى وَأَضْنَانِي مُضْنِيهِ
أَسَى لِلْقَلْبِ مَا يَنْشُدُ إِلَّا مَا يُعْنِيهِ
وَمَا يَبْرَحُ طَوْلَ الدَّهْرِ طِفْلاً فِي تَمْنِيهِ
يَعِدُ الْفَرَحَةَ الْكُبْرَى لِحُبِّ كَامِنٍ فِيهِ

إِذَا سَاوَرَنِي الْوَجْدُ وَأَطْيَافُ لَيَالِيهِ
وَأَضْنَى قَلْبِي الْحَمُّ وَأَحْزَانُ عَوَادِيهِ
لَمَسْتُ الْبُرْءَ فِي اللَّيْلِ وَفِي صَمْتٍ دِيَا جِيهِ
كَلَانَا مُوحَشٍ رُوحَاً سَقِيمٍ غَابَ آسِيهِ

فدع الناي جانباً ، وأدرها
ودع الربوة السحيقة تخفى
ولنعش ها هنا كما نتمنى
للأغاني ، للحب ، للالهام

وانظر الشمس ! هل شجتك اختلاجاً

وهي تخطو الى الفناء السريع ؟

كم أضاءت وجددت من حياة
ثم همت فليس في الكون إلا
يا حبيبي خلّ الوقار وهيا
بالأغاني ، وبالحدِيث ، وبالشع
فغداً تذهب الحياة بشمسي

وانظر البدر في الفضاء سبوحاً
أطلق السحر في السماء وفي الأر
لا نرى فيه غير ليلٍ وضئ
يا حبيبي خذني اليك وأنعش
قرب البدر بيننا ورعانا
ما غناء الساعات ، تمضي خواء

وارقب الزورق المقدس يبدو
كم عبرنا به الخضمّ وقد أء
نوقظُ الموجة الصغيرة بالهم
وأغاني المجداف تُضفي على اليمّ (م) رداءً من رهبة وجلال
يا حبيبي حال الوداع فهيا
كم حبتنا بصفوها ورعتنا

ورسا الزورق المقدس للشط
ودعانا الملاح بالنعيم العذ
أي هذا الملاح أية ذكرى
قرب الزورق المقدس كالأم
وامض في اليمّ حيث نسعد بالصف
طال شوقي الى المطاف بدنيا

قلت والبدر حالم ، والدراري

يارجاء القلب الجريح - وماذا
بي ظمأ الى حديثك عذبا
قد سهوْنَا عن الحياة وبتنا
فابعثي النور في جوانب نفسي
شدّ ماضقت بانفرادي وسهدي

أنا لولاك لم أعش في حياة
ليس تصفو لنا ، وهيهات تصفو
أنت جمّلتها لعيني ونفسي
فتعالى نعش هنا في حمى اليمّ (م) وننسى ما ساءنا ، أو سرّا
تتناغي كالطير في كنف الدو
ذاك لب الحياة ، بل ذاك أُندي

وصحا الشوق عارماً فاذا هي
ثم ألت برأسها فوق صدري
وسرى الريح لنا فاطمأنت
وشجّهاها الهوى فألقت بأذني :
غنّ لي غنوة الربيع على اليمّ (م) وروّ الفؤاد من كل لحن
فاحتضنت العود الحبيب الى النف

حينما يشرق الربيع في سماء الحدايق
ونرى حسنه البديع في وجوه الشقائق

سوف ألقاك ها هنا
حيث تصفو لنا المنى

يا مُحياً عبدة مثلما يُعبد الآله
وجالاً عشقته عشق من لا يرى سواء

كم تمنيت لو نكون في حمى اليمّ مفردين
في وقاء عن العيون حيث نحيا كطائرین !

قدّر الله يا حبيب للغريبين بالتلاق
فمتى تسعد القلوب بلقاء بلا افتراق ؟ !

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

بمناسبة ذكرى وفاة الامام

وقفه على دار الامام محمد عبده

بعين شمس

للشاعر الحاج محمد الهراوي

أظلاماً وأنت في عين شمس
كيف أصبحت يا مثابة غاد؟
كنت والعهد منك غير بعيد
كنت للفضل والمكارم والنه
كنت للعلم، والمعلم، والطا
عطلت هذه الدروس وكانت
وانطوت ثم لا يزال صداها
فانظر الدار وهي قفر خلاء
واسأل الرسم إن أصبت جواباً
هيه يا دار بعد أنس أجيبني
لا تراك العيون من دمعها المس
نظرات تعيد ذكرى إمام
حسدت مجدك الليالي فمالت
أقفرت هذه الربوع وأقوت
لا يكاد البناء يقوى على الأر
ما بناك الذي بناك ليزهى

ورسا الزورق المقدس للشط
ومشينا على بساط من العشب
ووقفنا في كل مجلس حب
ثم ودعنا وعدت وأحلا
أسأل القلب: كيف يا قلب مررت
وأراني مردداً في حنين:
ليت أنا نعيدها! ليت أنا!!

عبد العزيز عتيق

ميت غمر

وهو لو شاء شاد عرشاً وفرشاً
إنما أثر التواضع حكماً
ليس يعني بزخرف العيش حر
فأقام البناء من لبنات
لا يبالي وكل شيء سيلى
أنكر النفس ثم باع هواها
ومضى يحمل الكريهة فرداً
مستعيناً بالله والحزم والعز
نفس حر تجملت بخلال
خصه الله بالمواهب والراء
رجل كان حين يقطع أمراً
ليس يثنيه عن أيديه قوم
فأفقد عاش (عبده) في زمان
حسدوا فيه نعمة الله فيهم
فاذا مات أيقنوا أي ركن
قل لشعب حظ النوابع منه
تقتلون النبوغ حياً وتمضو
أيها الناس، ههنا قام بيت
لم يكن من صروح هامان فرعو
فاذا ذل فالذي قد بناه
آه لو كان شكسبير بناه
لراى الناس أي دار تجلت
أثر النابغين في كل شعب
أيها الناس ههنا سر مجد
وهنا ههنا أشعة ذكرى
فأقيموا البناء من قبل أن يأ
واجمعوا فيه ما تشئت منه
واجعلوه للعلم داراً وللد
ينبرى للوفود منه خطيب
يوعظ العقل للحياة ويمضي
ذاك من جانب الوفاء الى الشع

من لجين ومن حرير الدمقس
للذي فيه من تواضع نفس
قطع العيش بين نقي وحبس
خششات أطرافها غير ملمس
أن يطوف البلى عليه بطمس
في سبيل الأوطان بيعة بخس
مستهيناً بكل بأس وبؤس
م ووحى الحجى وتدير رأس
يتجافين عن صفار ورجس
ي بعيد المرام صلب المجلس
يتقاضاه من مخالب بأس
يصبغون الجميل صبغة ورس
جل من فيه أهل كيد ودس
ورموه بكل منكر حدس
هدمته يد الضلال بفأس
حظ سقراط حين أودى بكأس
ن بكيا عليه في بطن رمس
فوق آثار خفرع وكيوبس
ن ولا كان من حصون الفرس
ليس من طينة الذليل الأخس
أو بناء أخوه «هيجو» الفرنسي
واستحالت الى حظيرة قدس
هو ميراث كل جيل وحرس
قبست منه نورها عين شمس
تستضيء العقول منها بقبس
تي يوم يحول فيه للبس
بيد الدهر من متاع ولبس
ين مناراً، أو مرجعاً للتأني
صامت القول في بلاغة قس
يفتح العين من عماء ونفس
ب نداء لصاحب غير نكس

محمد الهراوي

بمناسبة ذكرى حافظ

شاعر النيل

بقلم الأديب أحمد عثمان عبد المجيد

سبيلها ، ولم يحاول أن يسلك بالأدب مسلك أكثر أدبائنا الذين جحدوا حق الوطن عليهم ، وتأثروا بطريقة الأدب العربي في فنونه التي خلت إلا قليلاً جداً من الشعر الوطني الذي يحدث عن آمال الشعوب ورغائبها .

لذلك لم يأل جهداً في تسجيل مآل الشرق من مفاخر ، غزيرها حقبة من الزمن ، وما ينبعث لتحقيقه في إيمان ثابت ، وجهاد صادق من مآرب وغايات . ضارباً له الأمثال ليشد أزره ، ويصح عزيمته ، ويشير حفيظته ، ويزيد إيمانه بحقه ، واعتزازه بمجده ***

فتش في آثار حافظ كلها يأخذ يبصر كذا الطابع المجيد ، وتر أنه لم ينس الحديث عن مصر والشرق حتى في مدائحه ، ومراثيه ، لأنه لم يمدح ولم يرث إلا الغطارفة الذين عرفهم وعرفتهم مصر مجاهدين في سبيلها ، مخلصين في الذود عنها ، بل لم ينسه في خمرياته التي يستعيد الحديث عنها السمع والبصر واللب جميعاً ، ويأخذ بذمام الفكر فلا يدعه يجنح إلا إلى اللهو والخر والقيان والندمان وما إليها .

لم يذهب حافظ في أدبه ذلك المذهب إلا متأثراً بمصريته الصميمة ، وما أفاده من صحابة الأحرار من كره للاستعمار وضيق بالذل ، وما لقيه من عناد الانجليز بالسودان وما منى به بعد من بؤس وشدة .

كل هذه العوامل قربت بينه وبين الشعب ، فأحس منه ضعف النفوس ، وتزايد الوحدة ، وتردد المستضعف ، وخوف الذليل ، وأراد الإصلاح ما استطاع فاتخذ سبيله ليرضى بسعيه عن نفسه ، ويكون كما قال : —

لعمرك ما أرقى لغير مصر ومالي دونها أبداً مرام وقوله :

انى لأحمل فى هواك صباية يامصر قد خرجت عن الأطواق لذلك لم يدع باباً من أبواب الجهاد إلا ولجه ، فكان له في سبيل الوطن والدين والأخلاق مواقف عزيز بها وبز ، وأقعد غيره عن أن يلحق به ويدانيه ، واصطنع في جميعها الجرأة والصراحة وخطها أحياناً بالتهكم اللاذع ، والسخرية المرة ، لتكون أبلغ في التأثير وأبقى في الآذان . واليك حديثه مع غادة اليابان مثلاً تر فيه كيف برز حافظ في هذا المضمار ، وجمع إلى سلامة

لولا أن الخطب في شاعر النيل هو خطب الشرق الذي كان الفقيد لساناً من ألسنته ، وعموداً من عمد نهضته ، وبطلاً من أبطال المحاماة عن حريمه ، والذود عن حقيقته ، وقائداً من قواده البسلاء الميامين ، وداعية فيه إلى الاخلاص في الجهاد ، والاحسان في البلاء ، ليظفر بحقه في الحياة والسلطان . لولا أن الفقيد كان ذلك الرجل ماجل الخطب فيه وما فدح وما كان لمثل أن يجاوز طوره ، ويصطنع مالا يطيق ، ويدفع نفسه دفعاً في مزدهم الكرام الكاتبين عن حافظ شاعر النيل فيعرضها لشيء كثير من العنت والمشقة .

ومن أعجب العجب أن يرغب هذا القلم اللدن تلك السبيل برغم ما يتعاور حامله من تبدل القريحة ، وركود الذهن ، وأن يأسره ذكر شاعر النيل وحده فيتحدث عنه يوم مضى على وفاته الأربعون ، ثم العام ، وهاهوذا يتحدث عنه وقد تصرم العام الثاني على وفاته أمس .

وأعتقد أن حافظاً ممالك من نفسى إلا بما غلب عليه من إثارة الوطن وفدائه ، وغلب على شعره من الحماسة الوطنية والنزوع إلى الحرية ، والولوع بالاستقلال والسيادة . ولعل أقل مانجزى به حافظاً (رحمه الله) أن نكثر الحديث عنه ، وأن نقدمه إلى شعرائنا الذين آثروا أدب الصباية واللذة ، وجنحوا بالأدب عن أن يكون وسيلة من وسائل إلهاب الشعوب المستضعفة وإنهاضها للمطالبة بالحقوق والدفاع عن الذمار ، وظنوا أن تزويق الحديث وتليين المعارض والمقاطع ووصف الغايات ، وأسباب الترف من الأوليات التي يجب أن يعنى بها الأديب ، وأن يخلص لها الأدب .

لمثل هؤلاء يجب أن نقدم حافظاً مثلاً للأديب الذي عرف غاية الأدب السامية فجعل نتاجه الجم وقفاً عليها ، وجهاداً في

عار على ابن النيل سباق الوري مهما تقلب دهره أن يسبقا
فتدققوا أسداً وصونوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدققا
فمن البلية أن تباع وتشترى مصر وما فيها وألا تنطلقا
تلك هي البلية البالغة ، والهوان الأكبر ، والفعلة المنكرة ،
فأحر رجال الغد المأمول أن يلموا الشعث ، ويرأبوا الصدع ،
ويسعوا الى خير هذا الوطن المسكين سعيًا ملاكه التضحية بالنفس
والتفدية بالعزير .

رجال الغد المأمول إن بلادكم تناشدكم بالله أن تتذكروا
فكونوا رجالاً عاملين أغرة وصونوا حمى أوطانكم تتحرروا
ويطالبوا الدستور لا تسكنوا ولا تبيتوا على بأس ولا تتضجروا
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ولا ناله في العالمين مقصر

لست أدري إذ أقرأ لحافظ هذا وكثيراً غيره فأرى دعوته
الى الثورة سافرة غير مقنعة ، وحفيظته على الاستعمار صريحة غير
منكتمة ، ماذا يكون منه لو أفسح له القانون قليلاً في الحرية ؟ وأى
شيء بعد هذا ترتقبه من مجاهد ، ورجوه من حر . ؟

إن من يعرف صرامة القانون إذ ذاك وما رمى اليه المشتري
الانجليزى من كبت الشعور ، والتفريع والكيد للاحرار ، ليعتقد
أن حافظاً آثر عنت القانون ، وشدة ليقضى حاجة نفسه ، وحاجة
أمته في ذلك الوقت العصيب الذى سعى فيه كثير من الخاصة الى
رجال الاستعمار مترلفين مؤثرين أنفسهم على الوطن .

فهذا يلوز بقصر الأمير ويدعو الى ظله الأرحب
وهذا يلوز بقصر السفير ويطلب في ورده الأعذب
وهذا يصيح مع الصائحين على غير قصد ولا مأرب
لله درك يا حافظ ! لقد جاهدت والغمرات من حولك منكرا
والقوم مشغولون عنك بذات نفوسهم . فما فئت عزيمتك ولا وهى
صبرك ، ولادفعك ذلك الى اليأس إلا حين ترجو الالهاب والتهيج ،
فما أجمله ياساً يوقظ الشعور ويحفز الغافل الى المنادة بالحقوق

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تعبي
فما أنت يامصر دار الأديب وما أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يامصر من كاتب أقال اليراع ولم يكتب
فلا تعذلى لهذا السكوت فقد ضاق منك ما ضاق بي

الشعر وشرف المقصد دقة التصوير ، وسمو التصور : —
لا تلم كفى إذا السيف نبا صح منى العزم والدهر أبى
أنا لولا أن لى من أمتى ناذلا مابت أشكو النوبا
أمة قد فت في ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
وهى والاحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا
ثم يمضى يصف تفریط أمته . وعشقها الألقاب في غير العلا ،
وجهادها بالنفوس في سبيل الرتب ، وتباغضها وتحاسدها ، وما
الى ذلك مما يقعد بالمصلحين ، ويثبط هم المجاهدين الى أن يقول
مخاطباً عادة اليابان : —

قلت والآلام تفرى مهجتي ويك ما تصنع في الحرب الظبا
فسليني إننى مارسستها وركبت الهول فيها مركبا
وتقحمت الردى في غارة أسدل النقع عليها هيدبا
جال عزرائيل في أنحائها تحت ذاك النقع يمشى الهيدبى
فدعيها للذى يعرفها والزمى ياظبية البان الخبا
وهو بذلك الحديث كله يمهّد لما يريد أن يقدمه نصيحة
للشباب ويجعله مثيراً لهممهم ، باعثاً لهم من مراقدهم ، فأى شاب
يعرف للرجولة حقها يسمع حديث حافظ على لسان هذه الغادة
فيرضى أن يسيع المذلة ، ويقيم على الخسف الذى يراد به فيكون
أحد الأذلين ؟

فأجابتنى بصوت راعنى وأرتنى الظبي ليثاً أغلبا
إن قومي استعذبوا ورد الردى كيف تدعونى الا أشربا
أنا يابانية لا أثنى عن مرادى أو أذوق العطبا
أنا إن لم أحسن الرى ولم تستطع كفاى تقليب الظبا
أخدم الجرحى وأقضى حقهم وأواسى فى الوغى من نكبا
ولسنا فى حاجة الى أن تقول : إن حافظاً قد بلغ فى هذه
القصيدة مبلغاً من الاحسان يحسد عليه ، وأشرف بها على الغاية ،
وأجمعت كلماته من به صمم

ولم يزل يتبع الصيحة المدوية أخرى أشد وأعلى ليستقيم له
قياد النفوس . ويدفع الشباب المترف المنعم الذى سدر فى شهواته
وغلا فى مباهجه ، ونسى حق الوطن عليه - الى ما يجب أن يعمل
له ويشغل نفسه به فانه

شماس ، وأدبها ذلك الأدب الجميل وطالما أوضعت في اللهو وجنحت
الى الأثرة فجنت على الأمة ، هي التي تسعى اليوم غير وانية ، وتمضى
غير مترثثة ، لا يشغلها عن جهادها الشريف ما يُمنى لها من كيد ،
وما يراد بها من هون ، لقد علمها بالصراحة ، وعرض عليها شر
ما فيها من الخصال لتتوقاه ، وكان عليها حديد اللسان ان ترددت
حين العزم وتقاعست عند النابذة

حسبى هذه الصور البارة التي تدل دلالة واضحة على أن
حافظاً - أحسن الله جزاءه - كان شاعر الوطنية الثائرة ، لم
يقنع ثورته الخوف ، ولم يأسرقلمه التزلف والرياء ، ولم يخالف بين
قوله وفعله

وستظل هذه الناحية من شعر حافظ شغل الباحثين مادام
الحديث عنها يمتد ويمتد فلا يقوم بالايفاء فيه الاطناب المطنب ،
وما دامت النفوس الألية تستروح برد الراحة في دراسة هذه الآثار
التي تحدث عن أشهى أمنية من أمانها ، وما دام - حافظ - نفسه
يأبى أن يحتفل بغير هذه الناحية ، ويقول ما معناه « إن من قضى
شبابه في الجيش ، ثم انغمس بعد تسريحه في شعر الوطنية ؛ هيهات
أن يجد متسعاً لما وراء ذلك » وأختم الكلام بعرض مختار من
إحدى قصائده في داهية دنشواي الدهياء ، وقد صاغها من
حسرات نفسه وآلام شعبه ، ورثى فيها العواطف الشريفة
- يقتلها حب الاستعمار في نفوس أهله - فجاءت طرازاً وحدها
في قوة التأثير وجمال النظم قال :

خفضوا جيشكم ، وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلاداً
واذا أعوزتكم ذات طوق بين تلك الربي فصيدوا العباداً
انما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجياداً
لا تظنوا بنا العقوق ولكن أرشدونا إذا ضللنا الرشاداً
ثم يقف بعد من المستعمر موقف الخصم العنيد ، فلا يدع له
حجة ولا ينجيهِ من التثريب والملامة :

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أقصاصاً أردتم أم كيدا ؟
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أنفوساً أصبتم أم حمدا ؟
ليت شعري ألكل محكمة التف تيش عادت أم عهد نيرون عاداً ؟
كيف يحلو من القوى التشفى في ضعيف ألقى اليه القياداً ؟
ثم يمضى بعد ينفث حسراته وزفراته حتى ينتهي الى تقرير

أبعجنى منك يوم الوفاق سكوت الجهاد ، ولعب الصبي
وكم غضب الناس من قبلنا لسلب الحقوق ولم نغضب
غضب الناس لحقوقهم فاستردوها ، ونمنا نحن عن حقوقنا
وهي ملء الأرض ، وشغلنا عن مجدنا الدابر وهو ملء التاريخ ،
ورضينا بالدون من العيش قسماً وحظاً وقد

كناقلادة جيد الدهر فانفرطت وفي يمين العلا كنا رياحيناً
كانت منازلنا في العز شاخحة لا تشرق الشمس إلا في مغايننا
وكان أقصى منى نهر المجرة لو من مائه مزجت أقداح ساقينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولاجاه ولا حسب ولا صديق ، ولا خل يواسينا
في هذه الأبيات وفي كثير غيرها يذكرنا حافظ بسلطان
الشرق وملكه ، وعلمه وفلسفته ، وأيامه الخالية ، ثم بعبوديته
وفقره المادى والأدبى ليعث من ألقى السمع الى النهوض ، وينبه
الغافل الكسل الى ماله من حقوق مسلوقة

وليس من شك في أن شاعرنا قد أدى بقصائده هذه ماوجب
عليه كمصرى صميم إن لم يكن زاد وأربي ، وأن الشعب قد أحسبه
تذكر بنعمى عريضة تحولت أبوساً ، وعز باهر آض ذلاً . ولكن
نفسه الكبيرة ما كانت لترضى بهذه التضحية الحق ، فلولا صرامة
القانون لأرتنا عجباً ، فمثلاً لا يقنع بما دون النجوم .

متى أرى النيل لا تصفو موارده لغير مرتقب لله مرتهب
فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت جادت دموعي لها بالؤلؤ الرطب
إذا نطقت فقاع السجن متكئ وان سكت فان النفس لم تطب
وكما لم يحمد حافظ جهاده وبلاءه لم يحمد للشباب نهوضهم
المقدور ، وجهادهم المحدود ، وهو يريد هم أسوداً ضارية لا ترد عن
الغاية أو تبديد ، فألقى عليهم باللائمة وأغلظ لهم في القول ، وقرعهم
وتحدى رجولتهم فقال :

أنابته العصر إن الغريب مجد بمصر فلا تلعب
يقولون في النشء خير لنا وللنشء شر من الأجنبي
أفى الأزبكية مشوى البنين وبين المساجد مشوى الأب
وكم ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب
هذه النابذة التي راضها حافظ على التضحية فارتاضت بعد

أبناء مصر الذين يتقاربون حرباً عليها ، ويكونون عوناً للمستعمر
على خضد شوكتها ؛ ويخلص من ذلك الى قوله وقد أنكر
تصرف هؤلاء الأعيان وزرى عليه :

لا جرى النيل في نواحيك يا مصر ولا جادك الحيا حيث جادا
أنت أنبت ذلك النبت يا مصر فأضحى عليك شوكا قتادا
أنت أنبت ناعقاً قام بالأمس فأدمى القلوب والأكبدا
إيه يا مدره القضاء ويا من ساد في غفلة الزمان وشادا
أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا

هذه الروح القوية التي استبانت فيما أوردنا من شواهد هي
التي صدر عنها حافظ في جهاده الوطني الذي صار من أجله شاعر
النيل غير مدافع ولا منازع .

وما زال - رحمه الله - يغذى الحركة الوطنية ،
ويشيد بها حتى ألقى عصاه بدار الكتب ، فصرم
بها زماناً لا ينشدنا إلا لماما .

وما كان للنفوس التي خالطها حبه ، وغذاها
أدبه ، وطبعت على أن تسمع صوته متصلاً لا ينقطع ،
أن تسكن الى تلك الحال ، وأن ترضى بذلك القليل
يأتيها منجماً في أوقات متباعدة .

فلما ترك - رحمه الله - المنصب محالاً الى
الراحة والدعة ، أملت خيراً واستشرقت وأنست
الى مقطوعاته التي كان ينظمها اليوم بعد اليوم ،
ولكن ماهي إلا جولة أو جولتان حتى رفع القلم ،
وطوى الأثر ، وودعنا حافظ

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
أبي البؤس الذي ألح على حافظ حياته أن يدعه
بعد وفاته ، فكفرت الأمة بأياديه عليها ، ولم
تعرف لذكره حقها ، وكان أقل ما يجب عليها من
عاش حياته مجاهداً في سبيلها ، مسبحاً باسمها ،
أن تجعل يوم وفاته أحد أيامها الخالدات ، تهرع
فيه الى تمجيد ذكره وإعلاء قدره ، وأن تنشر

صحيفة جهاده للأدباء ليتأثروه فيه ويعملوا على شاكلته .
وليس هذا وحده هو كل ما أصاب حافظاً من بؤس بعد
وفاته ، فان خلصاءه الذين عاشروه ولا بسوه ولزمهم بذلك ما يجب
على الصديق للصديق ، قد نفضوا أيديهم مما تعاهدوا عليه إثر وفاته
 واجتمعوا من أجله ، وقد كان فيه قليل من كثير جداً يجب عليهم
لذلك الشاعر الصديق الذي أضحى حظه بين هؤلاء الصفوة الأنساء
أو النسيان وكلاهما شر .

وبعد ، فلك كلمة فيها إيجاز وقصور ، لم أرد فيها كشفاً عن
فضل مستور ، وبياناً لقدر منكور ، ولكني أردت أن أؤدي
لشاعر النيل بعض ما وجب على بالأخذ عنه ، والانتفاع بآثاره .
فإن ألك قد قاربت ما أردت خسبي ، وإلا أكن فالجهد يعذر ما
أحمد عثمانه عبد المجيد

اكتبوا بواسطة بنك مصر وفروعه في سندات

شركة مصر للغزل والنسيج

سندات لحاملها قيمة كل منها ٢٠ جنيهاً مصرياً

وفائدته ٥ ٪ من القيمة الاسمية

ينتهي الاكتتاب في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤

ويقتل باب الاكتتاب متى وصل الى المبلغ المطلوب

وتكون الأولوية للمتقدمين في الطلبات

إلا بقضائه على الحياة ؛ لماذا تصلح حياتنا ؟ هل تصلح إلا
للأزدراء ؟

— ٥ —

ومن الغريب أن ترى ليوپاردى الكاتب يناقض ليوپاردى
الشاعر ، فرسائله لا تكاد تخلو من ذكر الله وهو فى شعره جاحد
لوجوده ، يقول فى إحدى رسالاته « والأجل الذى كتبه الله
لى لما يحن ! ولكنى أرجو من الآلام التى أنهكتنى أن تسوقنى
إلى الراحة الخالدة التى أطلبها كل يوم ، هرباً من العذاب الذى
أضوانى . »

كان ليوپاردى يجحد وجود العناية الإلهية ، والآن يثبتها لأنه
يحس وجودها بالضرورة التى تفرض وجودها . يقول الشقى
« إذا كان هنالك كائن فى السماء أو على الأرض أو فى قاع البحار ،
فلا أقول عنه إنه رحيم ، ولكنه شاهد على عذابي »

كان ليوپاردى يحقر البراعة ، وينسى الأسماء الخالدة اللامعة
وها هو الآن فى ذات مساء ، فى مدينة (رومة) يرقى ربوة (سانت
أومريو) حيث قضى (لوتاس) نحبه ، ينحنى إزاء قبر هذا
الشاعر الكبير ، ويستوى تحت ظلال الشجرة التى ألف الشاعر
أن يقف إليها متأملاً فى غروب الشمس ، هنالك يقول ليوپاردى
لأشياء جميلة على الأرض ؛ عظمة البراعة التى تعيش وتخد هى
فوق كل عظمة . وكان يقول عن الحب إنه حلم فارغ ، غير خلاق
به أن يخلق نفساً صافية ، وها هو ذا الآن يجعل من الحب رسول
السعادة الحقيقية ، ترسله الآلهة إلى قلوب بنى الانسان . (فهو إذا
هبط الأرض تحرى عن أشرف القلوب وأطهرها ، وبث فيها
من روحه وعذوبته . حتى ليحس صاحب الحب أن فى قلبه
روحاً غريبة تثنيه عن العالم) وهو الكاتب إلى أخيه (بالله
أجبنى . . . أنا فى حاجة إلى الحب . . . الحب . . . النار . . .
الهيام . . . الحياة) وهو الذى يحدث عن صداقة أنقذته ، وبذلت
بؤسه هناء وجعلته يؤمن بأن فى الحياة أفراحاً كانت يحسبها
مستحيلة .

كان ليوپاردى يسير مذهب الجاحدين وجود الشاعر
السامية فى الانسان ، والآن أصبحت هذه الأكاذيب عنده أسمى

الشاعر الايطالى «ليوپاردى»*

للأستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

أعجب ليوپاردى بالموت والفناء ، فقال فى مقطوعة له :
[أيها الموت الرحيم الذى لم أزل أدعوه إلى منذ تألق صباى :
تعال أغلق إلى الأبد عيني ، فقد طرحت بعيداً عنى كل أمل
خادع يتعلل به العالم ، ويلهو كالطفل . أنا لارجاء لى إلا بك ،
ولن أرتقب إلا النهار الذى أرقد فيه مسنداً جبينى على صدرك
الطاهر]

وهكذا أصبحت نفسه لا يشبعها لون من ألوان الحياة وآمالها ،
لا الحب ولا زهوه ، ولا الأمل وآفاقه ؛ لا يشبعها ولا يطفىء
رغائبها إلا لقاء الموت .

قد تسمع هذه اللهجة من غير ليوپاردى فتصد عنها ،
ولكنك تسمعها من هذا القلب الخافق والروح المعذب فتوقظ
نفسك الهاجمة وتهيج قلبك الهامد ، لأن اللهجة التى ينطق بها
الشاعر ليست لهجة خاصة ، وإنما هى لهجة الانسانية التى تأتى
من حيث لا تعلم ، وتنطلق إلى حيث لا تدرى .

يقول ليوپاردى : إن الجميل هو عدو الحقيقى ، ولكن هذا
الجمال الخادع هو — عندى — خير من الحقائق الأرضية
الدنيئة . ألا فلنذهب الأشياء التى تفسح ساحات الخيال ، فهى
اجدى نفعاً على الناس لأنها تبعث على النسيان . إن الأداب هى
رفيعة المقام ، وهى القائمة إلى المثل العليا ، والدرس يبعث على
التعزى ، وهو يبهج ويلهى النفس . أما الحب فهو نعمة لأنه
يتصور ويتأمل . أما الأمل فهو الأريج الفواح الذى يعطر مسارب
كل مكان . وإذا كنت أعتقد أن الموت هو خير هذه الأشياء ، فلا أنه
يفاجئ الانسان المسترسل فى أوهامه ، لا يقتل هذه الأوهام

شيء في أخلاق الانسان ، تدل على شيء هو أعظم من الرداء الترابي ، فيصرف وجهه عن الأرض ليتأمل في عظمة الفضاء الشاسع والعوالم السابحة فيه ، فيرى كل شيء صغيراً حقيراً عند هذه النفس ، فيعرف أن النفس هي أوسع بمخاطراتها وتأملاتها من كل عالم ، فتشكو هذا النقص وتحس الفراغ والسأم ؟ أليس هذا بما فيه برهاناً على شرف الطبيعة الانسانية ؟

هذه المشادة هي المعركة التي تقوم بين القلب والروح ، ولكن هذه المعركة التي تتخذ من صدر (ليوپاردى) ميداناً عنيفاً هي معركة دأمة لا انتهاء لها . يحفزها الألم ويسعر ضرامها الشقاء ذلك الألم الذي نحا بالشاعر إلى هذه الوجهة العابسة من فلسفة الشك ، وطبيعي أن تكون هذه الوجهة غيرها فيما لو قيست المقادير لهذا الشاعر حياة ناعمة وعيشاً رغداً ؛ إذا لكسبت الحياة متفائلاً جديداً يشدو بمحاسنها ويلهج بالثناء على جمالها ، وسيان عندها شاعر بكى وشاعر شدا :

فلله ما أظلم الفلسفة إذا كان قليل من هناء يبيض وجهها فيبيض العالم ، وقليل من شقاء يسود وجهها فاذا العالم كله ظلمات بعضها فوق بعض . والحقيقة — وأجدر بالحقيقة أن تكون وراء هناء الانسان ووراء شقائه ، ولكن قل لى من الذى يستطيع أن يتجرد من جميع هذه الظواهر ، ومن ذا الذى يقدر على أن يضمن سلامة عقله إذا جاع بطنه ، وأن يبقى على هنائه إذا عضه ألم أو فر منه أمل

— ٦ —

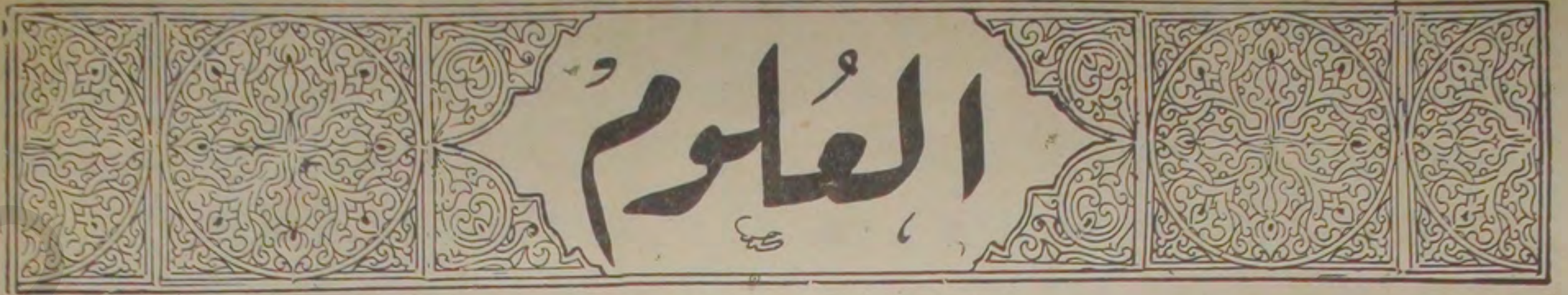
وهكذا ظل ليوپاردى تتشاطر قلبه نوازع مختلفة ، وينحط على جسده الداء إثر الداء ، يحاول أن يهدى ثأرتها عنه بتنقله من رومة إلى بولونيا ، ومن بولونيا إلى فلورنسا ، إلى نابولى ، والداء لا يزيد إلا تمكناً منه ، حتى آثر الشاعر الموت لنفسه على أن ينلها بسبب الحاجة ، وقد دفعه ألمه هذا للكتابة إلى والده (. . . ان مارتبته لى لا يكفى . . . على أننى أريد ألا أحيى كما يحيا الناس ، ولكن الموت هو أفضل عندى ، ولكن الموت يجب ارتقاب أجله ، فلو كان الأمر بيدي لما طلبت اليك — والله شهيد على — أن تمنحني شيئاً .)

تعرف فى نابولى إلى صديقه (رانيرى) ذلك الصديق الذى أخلص له كل الاخلاص ، وظل أميناً له حتى اللحظة التى غادر فيها ليوپاردى الوجود ، وفى نابولى اعتزل الشاعر الناس ، فلا يصير منهم أحداً ، ولا يسمع عنهم شيئاً ، كأنما عزاته هذه هي عزلة الموت . ينطبق عليه فيها قوله « أصبحت جزءاً يفكر ويقاسى العذاب ، هو لا يزجى حياته إلا فى التفكير ، ولا يشغله فى عزلته إلا التأمل . إذا رآه الناظر يخطر بين خرائب (بومباى) عند الغروب ، تمثل شبحاً قديماً يزحف بين الخرائب يرثى حظها وحظ نفسه

وجد على قمة جبل تنفث مائعاً نارياً نبتة ضعيفة تحاول أن تنزل فيها جذورها ، فمثل الشاعر نفسه بالنبتة الحقيرة وناجاها قائلاً : [وأنت أيضاً ، ستخضعين لقوة النار ، وستنحني تحت الأثقال ، ولكنك لن تنحني جبانة أمام الظالم ، ولن تلتفتى إلى السماء بكبرياء أهوج]

يطنى على ليوپاردى هذا الشك العنيف ، فينكر الخلود ويعان قبل موته أن هذه الفلسفة البائسة — كما يدعوها — ليست نتيجة ألمه وشقائه ، ولكن نتيجة اعتقاد وإيمان ، ويؤلف مقطوعة الموت والحب ، معنوناً إياها بيت للشاعر (لينادر) (هنالك يموت شاباً من تحبه الآلهة)

وإزاء هذا التناقض الذى شاهدناه بين قصائده ورسائله كتب أيضاً (وداعاً يا صديق العزيز . . اننى أحس فى نفسى رغبة هائلة لعناقك ، ولكن كيف ؟ وفى أى موطن أستطيع ؟ أخاف جداً ألا يكون هذا بقدر طول حديقة (أسفوريل) . حدثني عن دروسك ، وأحببني دائماً ، وداعاً لك من كل قلبي) انتشرت الكوليرا فى نابولى وكثرت ضحاياها ، فنقله (رانيرى) صديقه الحميم إلى (بورتيسى) . وفى الرابع عشر من يونيو عام ١٨٣٩ أخذت الشاعر نوبة اغماء قوية تزايلت لها أعضاؤه ، ولم يكن عند الشاعر إلا صديقه وأخت صديقه ، كانت تمسح العرق المتصبب من جبين العليل ، وكان (رانيرى) يساعده بحركات رياضية على التنفس ، وكل هذا لم يغنه شيئاً . فعاد بعد



تطور فكرة النظام الشمسي

عند اليونان

بقلم فرح ريفدي

... هذه أول مقالة من عدة مقالات في تطور فكرة النظام الشمسي عند اليونان وعند الكنيسة في العصور الوسطى ، وعند العرب ، ثم الانقلاب الأخير الذي حدث على عهد كوبرنيكس وجاليليو .

وقفت في مساء ليلة من ليالي الصيف متأملاً انحدار الشمس الى المغرب انحداراً بطيئاً ، وكان الشفق بألوانه ممتعاً للأنظار ، محرّكا للنفوس . لكنني لم أبال بجمال المنظر أكثر من أن الشمس ستتوارى عني وراء الجبال بعد بضع دقائق وأجهدت نفسي في تلك الآونة لأرى الشمس واقفة وأشعر نفسي متحرّكا مع الأرض ، لكن جهدي ذهب عبثاً ، إذ مازلت أرى الشمس تهوى بسرعة لتختفي عن ناظري ، والشفق يزداد احمراراً كلما دنت من الغيب . فبالرغم عني لم أرها إلا متحرّكة وبالرغم عن كل شيء لم نلاحظ الشمس تقف ثانية واحدة في مجراها اليومي ، فهي أبداً في كل يوم نشاهدها صباحاً في المشرق ، ترتقي رويداً في هذه القبة الزرقاء ، الى أن تصل أوجها في منتصف النهار ، ثم تأخذ في الانحدار والاختفاء وراء الأفق الغربي ، فتضيء هناك ما كان مظلاماً ، وتبقى خلفها الظلمة ترقبها النجوم بأعين ساحرة متألّثة .

وقد نشاهد القمر أحياناً يظهر بعد اختفاء الشمس ، فيسلك مسلكها ، ويتبع خطاها واحدة واحدة ، الى أن يتدرج في انحداره وراء الجبال أو وراء البحار . ففي أثناء هذه الدورة العظيمة من الشمس ، أو هذا الانقلاب الخطير المتعاقب من ليل ونهار ، من يفكر أو يشعر أنه دائر حول محور الأرض بسرعة تقرب من

الألف ميل في الساعة ، وأنه في اثنتي عشرة ساعة ينقلب أسفله الى أعلاه وأعلاه الى أسفله ؟ وكيف يكون هذا الدوران السريع ولا نرى البنائيات تهدم ، والأشجار تتساقط ، والمياه تتطاير في الفضاء والناس تقع وتقوم ؟ . إن هذا الدوران حركة عنيفة قادرة على تفتيت الأرض وهدمها . فبما أن كل هذه الأشياء لا تحدث ، فالأرض إذن ثابتة لا تتحرك في وسط هذه القبة المستديرة . نعم ذلك ما اعتقده اليونان الاقدمون وجاهر به بطليموس في القرن الثاني بعد الميلاد . فثبتت الأرض في مركزها كان النقطة الأساسية في النظام اليوناني القديم .

لنقف الآن قليلاً ، ولنتصور أنفسنا في يوم ٢٢ يوليو عند ما يكون النهار على أطوله ، والشمس مشرقة تماماً على الخط المار بين الغرب والشرق منا . لندع الشمس تدر حول الأرض كعادتها ونحن نرقبها كل يوم من مسقطها ونعين موضعها بين الجبال أو ان شئنا بين النجوم ، فبعد أيام نرى أن الخط المار بنا وبها قد بدأ في الانحراف قليلاً عن خط الشرق والغرب ، ولا يزال الخط في الانحراف ولا تزال الشمس متنقلة بين النجوم الى أن يأتي الخريف بعد الصيف الحار ، ويقترّب الشتاء ببرده القارس ، ويأتي يوم ٢٢ ديسمبر حيث يكون النهار على أقصره ، فبلغ الخط منتهى انحرافه ، وبدأ بالرجوع الى مكانه الأول . ثم لحق الربيع الشتاء ، وما كاد يطرب بنضارته وجماله الشعراء حتى يباغته الصيف بحره وجفافه ، ويأتي يوم ٢٢ يوليو حيث يرجع الخط لمكانه الأول . وذلك بعد أن أنهت الشمس مسيرها بين النجوم . لأن ذلك كان ما اعتقده ارسطو وبتليموس في النظام الكوني وعلاه بقولهما : إنه لو كانت حركة الشمس هذه ظاهريّة فقط ومسببة عن حركة في الأرض في جهة معكوسة ، لكنا رأينا النجوم أيضاً تسير بهذه الحركة الظاهريّة مع الشمس ، وبما أننا لا نلاحظ أي انتقال أو تغيير في النجوم فالأرض إذن ثابتة لا محالة ، وأي تغيير قد يحدث في بعض هذه اللوامع في الليل فانه راجع الى

(٥) زحل ، المعروف ببطء حركته بين النجوم الثوابت ، عرفه الأقدمون كأبعد سيار عن الأرض .

ليس لنا أن نبين الأبحاث التي قام بها علماء اليونان في علمي الهيئة والنجوم ، ولكن المهم الآن أن نعرف بعض من قاموا بتأسيس فكرة النظام الشمسي التي عرفت بالنظام البطليموسي ، والتي ما كانت إلا تعديلاً لما اعتقده أرسطو العظيم في هذا الكون العجيب .

في سنة ٥٣٢ ق . م قام فيثاغورس Pithagoras وأنشأ أخوية دينية كان لها اعتقادها الخاص في كروية الأرض ، وكان هو أول من فرض حركة الأرض حول الشمس ، لكن أرسطو رفض هذا الفرض لعدم ظهور دواع تؤيده ، وكان أيضاً هبارخس Hipparchus أول من أظهر استدارة فلكي الشمس والقمر حول الأرض .

وفي سنة ٣٧٠ ق . م ، أظهر يودكس فكرة الكرات المتراكزة ، فبنى على هذه الفكرة من بعده أرسطو ورؤساء الكنيسة في العصور الوسطى .

وفي القرن الرابع قبل الميلاد قام المعلم الأول أرسطو ، الذي تلقى على أفلاطون فيلسوف ذلك العصر ، وجمع ورتب التعاليم اليونانية بعد أن حللها وناقشها مع تلاميذه ، وقاسها بمقياس العقل والمنطق ، وعزا الحوادث والتغيرات في النجوم إلى مسبباتها الظاهرة ، وخلف للملا خلاصة التعاليم اليونانية منقحة بفلسفته المنطقية ، فأكبر العالم هذه العظمة فيه ، فمال على كتبه ومؤلفاته يدرسها ، فوجدها غاية المنطق ، وسداد الرأي ، وقوة الدليل ، فاقنع وآمن بها إيماناً ذهب بالشك في صحتها من قلبه

لم يكتف أرسطو بأن جعل الأرض ثابتة ، بل تصور النظام الكوني كله مؤلفاً من كريات مستديرة الشكل في أحجام مختلفة والواحدة في جوف الأخرى ؛ وعلى هذه الكرات جعل الأجرام السماوية تدور حول الأرض .

وقد حسب النجوم الثوابت كلها على أبعاد متساوية من الأرض ، لذلك جعلها على سطح كرة واحدة ، وقد علل اختلاف الأضواء المنبعثة من بعض السيارات باختلاف بعدها عن الأرض . ولما زادت العناية بمراقبة النجوم ، ودقت ملاحظاتهم لها ، تبينوا

الأجرام نفسها لا إلى حركة الأرض أو دورانها . وهذا التعبير الذي أذاعه المعلم الأول أرسطو تعبير منطقي يسلم به العقل ، ولذلك ظل معتقداً راسخاً في قلوب الناس قرونًا عديدة

أول ما يلاحظ الناظر في الليل إلى السماء هو الاختلاف البين في لمعان النجوم ، فاستدل اليونان من ذلك على أن النجوم الأشد لمعاناً هي أقرب إلى الأرض من غيرها ، وقد وجدوا أن من غريب أمر بعض هذه النجوم ، أنها تنتقل من مكان إلى آخر ، لذلك سميت بالنجوم السيارة Planets ، فبثوا العيون وراءها ترصدها أينما حلت ، واعتقد أرسطو أن هذه النجوم السيارة إن هي إلا أجسام طبيعية تدفعها إلى الحركة أرواح حالة فيها . وبما أن الأرواح تسير بقوة الآله الأكبر ، والكاهن هو الواسطة بين الله والانسان ، فالكاهن إذن عالم بأمر هذه النجوم . فادعى الكاهن هذه المعرفة فأخذ يدرس حركاتها ، فلما لم يعلم بسر حركتها ظن أن الروح تحركها ، ولما رآها تسير بنظام لا يدركه قال هي تسير بلا نظام ، وأن بعضها يسلك على حسب حظ الواحد وسعده ، فمما ما يتحرك لخير ومنها يتحرك لشر . ومن ذلك انتشر الاعتقاد بمعرفة حظوظ الناس من معرفة حركات النجوم ، فصار العالم بالأرواح عالماً بالنجوم ومسالكها ، وأصبح صاحب الدين في الدنيا وهو صاحب العلم أيضاً ، ولم يمكن عند ذلك التمييز بين الاثنين . عرف اليونان من الكواكب خمسة غير الشمس والقمر .

عرفوا : (١) الزهرة ، وهي الكوكب المتألق في السماء عند الصباح أو عند المساء ، وقد دعاها الرومان إلهة الحب لجمالها وافتتانهم بها ؛ وليس من الغريب أن يقرن نابليون حظه بها ، إذ قال لأحد جنوده ذات ليلة : « انظر ! هذه نجمتي ، مادامت متألفة فلا شك في نجاحي » .

(٢) عطارد ، رسول الآلهة ، يُرى أحياناً في الشفق فقط بعد مغيب الشمس ، يلبث قليلاً ثم يتبعها ، وهو كالزهرة يرى أيضاً في الصباح .

(٣) المريخ ، ونراه أحياناً متألقاً ، وأخرى ضعيف الإشعاع ، أحمر اللون ، وهو إله الحرب عند الاغريق .

(٤) المشتري ، إله الآلهة ، وهو كزوس عند اليونان ، وثاني الكواكب بشدة لمعانه ، فلا عجب إن عرفه الناس من زمن قديم .

الأرصادات الدقيقة للحركات الظاهرية لم تذهب قط سدى ، وهى من الأهمية بمكان فى تقدم علم الهيئة الحديث . والحقيقة فى فكرة النظام البطليموسى أنها لم تبدى مع بطليموس ، فأول من عرض هذه الفكرة كان أبولونيوس (Apollonius) فى القرن الثالث قبل الميلاد ، فقبلها هبارخس فى القرن الثانى قبل الميلاد ، ولما أتى بطليموس فى القرن الثانى بعد الميلاد ، توسع فيها وزاد عليها وشرحها شرحاً وافياً فى كتابه الماجسطى ، وظلت أساس معتقد الناس والكنيسة فى النظام الكونى أربعة عشر قرناً .

فرع ريفدى

ليو پاردى

[بقية المنشور على صفحة ١٢٣٤]

لأى إلى وعيه واتسعت عيناه ، ونظر إلى صديقه نظرة عميقة ، وقال له بلهجة يمازجها التهنيد : (لن أراك أبداً) ثم انقطعت أنفاسه وهمد قلبه الهمدة الأخيرة

وورى جثمانه فى الكنيسة الصغيرة (سانت فينال) حيث يرقد غير بعيد عنه رفات الشاعر الأكبر (فرجيل) . فيا لله من هذا الحظ الذى جمع بين لحدى هذين الشاعرين العظيمين ، وهما على قربى فى الوطن والفكر والشعر . قد انشق الاثنان من نبعة واحدة ، وانطلقا ليرقدا فى رقعة واحدة . كلاهما تألم ، وكلاهما لقي حتفه فى ميعاة الصبا ، وكلاهما أيس من العالم الثانى ، وود أن ينتقم من المقادير ويثأر لشقائه فقالا : « هى المقادير ! ما أوجدت الانسان ليحيا ، وانما أوجدته ليموت »

وهذه الفكرة التى تجعل الموت غاية الوجود قد ردها ليوپاردى فى مقطوعته (انشودة الديك)

(يخيل الى أن المآل الوحيد لكل موجود هو الموت ، لن يموت شئ لم يوجد ، ولن يولد شئ من العدم .

يتجه كل مخلوق بأعماله وآماله إلى السعادة .

فيسمى ثم يقف مجهوداً دون أن يدركها .

ثم يجد أن جميع أعماله — لا تؤول والأسفاه ! إلا إلى مضيئة الطبيعة المكتوبة على كل موجود — وهى الموت)

وكأنه يقول ، وهو المتألم ، خلقنا لتتألم ، ثم لنفنى ما

(يروت)

فيل هندارى

اختلافات كثيرة فى حركاتها ، لم يقدروا على تعليلها بكرة واحدة ، فزادوا عليها كرات ، وقالوا إن هذه الحركة الظاهرة ما هى إلا مجموع حركات دائرية على كرات مختلفة ، وزاد أرسطو على هذه الكرات اثنتين وعشرين كُرة ، كانت سبباً فى تعقيد النظام اليونانى بدلاً من تسهيله .

الاسم الأكبر الذى كثيراً ما نصادفه فى كتابات اليونان القديمة فى علوم الهيئة وبين مؤلفات العصور الوسطى ، وفى الكتب العربية المنقولة عن اليونانية هو بطليموس (Btolemy) . مؤلف كتاب الماجسطى الذى ترجمه الى العربية الحجاج بن يوسف بن مطر سنة ٧٨٦ م . وكان لهذا الكتاب المقام الأول بعد ارسطو لمدة أربعة عشر قرناً .

عاش بطليموس من سنة ١٠٠ الى سنة ١٧٠ ب . م . وكان مولده على أيام الأمبراطور هديران ، وكان مقيماً طول مدته فى الاسكندرية ، وهو معدود من أشهر رياضي ذلك العصر . وكتابه الماجسطى يحوى كثيراً من العلوم الرياضية والجغرافية عن أبحاثه فى علمى الهيئة والنجوم . وقد وافق هبارخس فى تراكز الأجرام السماوية ودورانها حول الكرة الأرضية ، ونزع فكرة الكرات فكرة ارسطو ، وأدخل نظام الدوائر الصغيرة (epicycles) وهو النظام الذى عرف باسمه من بعده ، وهو أن الكواكب تدور فى دوائر مراكزها تدور فى دوائر أكبر منها حول الأرض .

بهذه الفكرة تمكن بطليموس من تعليل حركات الكواكب السيارة فى السماء ذهاباً وإياباً ، ومن تعليل ثباتها مدة من الزمن عند تغييرها من ذهاب الى اياب وبالعكس . فقد قال إن حركة الذهاب والاياب مسببة عن كون حركة الكوكب فى جهة عمودية لاتجاه خط النظر (line of sight) . وثبات الكوكب مسبب عن كون حركة الكوكب فى اتجاه واحد مع خط النظر ، وذلك كما يلاحظ فى حركة اقتراب أو ابتعاد الكوكب عن الأرض ، إذ يعجز الانسان عن ادراك الحركة فيظن صاحبها ثابتاً .

وأما انحراف السيارات عن دائرة البروج (ecliptic) أو فل الشمس فهو ناتج عن ميلان سطوح الدوائر الصغيرة عن سطح الدائرة الكبيرة .

وهذا النظام الكونى نظام بطليموس وهبارخس ، وان كان مرتكزاً على جعل الأرض ثابتة بالنسبة الى عوالم النجوم حولها فان

القصص

الهيكل العظمى

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور

في الغرفة المجاورة لحجرة نومنا — نحن الأطفال — كان هناك هيكل عظمى معلقاً ، يجلجل في الليل حين يداعب النسيم عظامه ، أما في النهار فقد كنا نحركه بأنفسنا ، وكان يدرس لنا علم العظام طالب بمدرسة طب كامل ، ذلك لأن من حولنا وطمدوا العزم على أن يجعلوا منا أساتذة مبرزين في كل المواد ، ومهما كان نجاحنا فلم نكن لنخبر به أحداً ممن يعرفنا ، كما كنا نخفي ذلك عمن لا يمت إلينا بصلة .

مرت سنون اختفى في أثنائها الهيكل من الحجرة ، كما حيت بقايا علم الاستولوجيا من ذاكرتنا ، ولم تترك وراءها أثراً ، وفي يوم من الأيام كان منزلنا في هرج يموج بالضيوف ، وقد رلى أن أقضى الليلة في تلك الحجرة القديمة ، وعبثاً كنت أحاول إغراء الكرى ليطلق جفوني ؛ وبينما أنا أتقلب في مضجعي سمعت كل ساعات الليل تدق واحدة إثر أخرى في المعبد المجاور لي ، وبعد عدة دقائق انطلقاً الصباح الموضوع في ركن الحجرة ، بعد أن ظل شعاعه الخفّاق يضطرب ، فأسامني الظلام الى تذكر بعض أحياء فقدناهم ، وتأملت خفوت الشعاع في محيط من الديجور القاتم ، ومن ثم قارنت بينه وبين خروج الروح من أجسامنا البشرية الضئيلة وهالتي الشبه العظيم بينهما .

وقد جعلاني تداعى الأفكار أفكر في الهيكل العظمى ، وبينما أنا أرسم في خيالي صورة للجسد البشري الذي كان يكسو هاتيك العظام النخرة ، خيل إلى أني أسمع وقع أقدام تجوس خلال الحجرة وحول الفراش وتلمس الجدران ، وأحسست أني أسمع أنفاس المتجول المضطربة ، وكأنما أعياء البحث فمضي يذرع الغرفة جيئةً وزهوياً ، وخذعت نفسي بأن ما أسمع ليس إلا من قبيل الوهم ،

وما صورته لي إلا الأرق الطويل ، وتشتت العقل ، ومحاكاة اضطراب أعصابي حاكي لوقع الأقدام ؛ ومع ذلك فقد عرّنتني قشعريرة سرت في جسدي ، ولكي أتخلص من هذا الوهم هتفت صارخاً : « من هنا ؟ » وإذا بالساري يقف حذاء فراشي ويقول : « إنه أنا ، لقد جئت أفتش عن هيكل الذي بارحته » . فرأيت من الجبن أن أتخاذل أمام مخلوق صورته وهمي ، وجسمه خيالي ؛ فأمسكت جيداً بالوسادة وقلت : إنه عمل جميل في هذا الوقت المتأخر من الليل ! ما جدوى هذا الهيكل لك الآن ؟ وإذا بالصوت يصدر من الكلة نفسها ويقول : ياله من سؤال عجيب ! إن في هذا الهيكل عظاماً كانت سياجاً يقي قلبي الفتى الذي لم يجاوز السادسة والعشرين ، أفلا يحق لي أن أراه مرة أخرى ؟ . فقلت له : « لاشك في ذلك ، إنها رغبة سامية محترمة ، فلتبحث عنه ماشئت ، ودعني أنعم بالكري قليلاً ! » فقال الصوت : « أظنك هنا منفرداً ، حسن ، إني لأغتم هذه النهضة لأجلس برهة معك ، نتجاذب فيها الحديث ، وتلك سجيّتي ، فقديمًا كنت أجلس إلى الرجال نتحدث ، ولكن في الخمسة والثلاثين عاماً الأخيرة ، أبدلت ذلك بأنيني مع الرياح الداوية عند قبور الأموات ، وهأنذا أتكلم مع فرد من بني البشر لأول مرة منذ مماتي » .

وأحسست أن شخصاً يجلس قرب كلة سريري ، فأذعنت للواقع وأجبت : « إن هذا في الحقيقة شيء جميل جداً ، وهيا بنا نتكلم في شيء طريف » فقال الصوت : « إن أجمل شيء أتذكره هو تاريخ حياتي ، فدعني أقصه عليك »

وحينذاك دقت الساعة دقتين فانطلق محدثاً وقال : « عند ما كنت في ميعة العمر في دنياكم ، كنت أخشى شيئاً واحداً كما أخشى الموت ، ألا وهو زوجي ، وكانت احساساتي أشبه باحساسات سمكة علقّت بالشص ، إذ كنت أحسبني هذه السمكة ، وقد نزعّت من ذلك الهدوء الذي شعرت به في منزل الصبا . لقد مات زوجي عقب زواجي بشهرين ولم يكن حزنهم على وفاته أكثر من حزنهم على حظي التعس ، أما أبوه فقد نظر إلى وجهي ذات يوم وقال لزوجته : ألا ترين في عينها نذير الشؤم ؟

ثم قال الصوت : « أمنصت أنت لقصتي : أمل أن تكون قد أعجبتك ! »

فقلت : « لقد أخذت على جماع مشاعري وإن مبدأها ليشوق المرء إلى نهايتها . »

« ثم عاد الصوت يقول : دعني أتمها ، لقد عدت إلى منزل والدي ، والسرور يملأ نفسي ، واستنكر الناس هذا مني ، ولكنني كنت أعرف جيداً أنني على قسط وفير من الجمال ، ألا ترى ذلك ؟ »

« فقلت : لاشك في ذلك ، ولكن يجب أن تتذكرى أنني لم أرك أبداً . »

فصاح الصوت : « عجباً لك ! ألم ترني مطلقاً ! إذن فما هذا الهيكل العظمي ، هاها ، لا بأس عليك ، لقد كنت أمرح معك وهل في مقدوري أن أعرفك كيف كان في هاتين الحفرتين الغائرتين عياناً يشع منهما السحر ، وألاً تشابه بين الشفتين الياقوتيتين اللتين كانتا تفران عن ابتسامة فتاة وبين تلك الأسنان القائمة التي تعودت أن تراها ، وإني كلما حاولت أن أصور لك ما كنت عليه من جمال عبقرى ، وحسن وبهاء ورقة ، ابتسمت طرباً كما أشعر بشيء من الحزن والغضب ، وإن أشهر أطباء عصرى لم يكن يخطر على بالهم أن عظامى ستكون يوماً وسيلة لتفهم دروس الاستولوجى ، أتعرف طبيباً شاباً — كما أعرف — قارن بينى وبين زهرة (الشامباك) وما دار بخله أن هذا الهيكل المحطم لفتاة كانت هى زهرة الجمال ، وكلما سرت شعرت بأني قطعة من الماس المتألىء ألقيت في جوف الثرى ، وأن كل حركة منى تثير عاصفة من الإعجاب ، وكما أمضيت الساعات الطوال أتأمل هاتين اليدين اللتين تمناهما كثير من الشبان المتيمين ، ولكن هذا الهيكل الجامد ، لا يستطيع أن يحرك شعورك نحوى ، ولست أملك وسيلة أدحض بها هذا الاقتراء الذى يوحيه إليك هيكلى ، ولذلك أشعر بمقت للرجال ، وهأنذا أطرد الكرى عن مقلتيك بوصفى لك شفتى الورديتين . »

فصحت قائلاً : « أقسم لك بجسدك ، أنك لو كنت محتفظة به حتى الآن لما كان للاستولوجى أثر في ذاكرتى ، ولكن الذى يملؤها هو صورة الحب القوى العاصف يلوح لي في غياهب الليل ، ولست أذكر لك أكثر من ذلك . »

فتابع الصوت كلامه قائلاً : « لم تكن لي فتاة شقيقة ، أما أخى الوحيد فقد وطد العزم على ألا يتزوج ، وكنت أقضى

الوقت منفردة في الحديقة أتقياً ظلال الأشجار المتهدلة ، وأسبح في بحر الخيال . فأتصور العالم كله يعبد جمالى ، وأن النجوم الزهر تسكر من حسن طلعتى ، وأن الرياح تدوى إعجاباً بي ، والعشب المخضر يضطرب ثملاً حين أخطر فوقه ، وكنت أحسب شباب العالم كلهم كالأعشاب التى أطوها بقدمى ، ولكن قلبى لأمر ما كان ينطوى على شيء من الألم ، وكان لأخى صديق اسمه (شيكار) أتم دراسته بكلية الطب وأصبح طبيب العائلة ، وكنت أرقبه عن كذب من خلال الأستار ، أما أخى فقد كان رجلاً شاذاً اعتزل الناس ، وأوى إلى ركن مظلم ، وإذا كان (شيكار) صديقه الوحيد فقد أبيح لي أن ألقاه ، وكنت إذا مضيت إلى الحديقة مساء ، تخيلت كل عشبها (شيكارا) آخر . أمنصت أنت إلى ؟ فيم تفكر الآن ؟ »

فقلت : « أفكر فيما لو كنت (شيكارا) هذا ! »

فقال الصوت : « تمهل قليلاً ، وأنصت للقصة كاملة ، ففي يوم ممطر ، أصابتنى الحمى ، وجاء الطبيب يعودنى ، وكانت هذه أول مرة ألقاه فيها ، وكنت أتكى على حافة النافذة حتى تصبغ حمرة الشفق المودع وجنتى ، وحين جاء الطبيب تأمل في وجهى ملياً فقلدته ، وتأملت في نفسى فخيل إلى أن وجهى وردة حمراء ، قد ألقيت على وسادة بيضاء ، فسأل الطبيب أخى أن يجس النبض ، ولم أر طبيباً أجبن منه ، حتى أن أصابعه كانت تضطرب ولا تستقر حين أقبل يتلمس معصمى ، وفي النهاية سجل حرارة الحمى التى انتابتنى ، أما أنا فقد قدرت خفقان قلبه ، أعندك شك في ذلك ؟ »

فقلت : « كلا . كلا ، إن خفقات الفؤاد لتحكى قصته ! ! » فقال الصوت : « بعد أن أبلت من مرضى المنهك ، ألقيت كل أحبابى قد رغبوا عني ، وأخيراً أصبح الطبيب يعود مريضاً فحسب ، وكنت في هذه الأمسيات أرتدى ثوباً أبيض ، وقد تدلت عليه ضفائر شعري المحلاة بزهور الياسمين الأبيض ، ومن ثم أتخذ مقعدى المعتاد تحت أفنان الأشجار ومرآتي في يدي ، وربما تظن أن رؤية الشخص لصورته وجماله في المرآة تجعله ملولاً . ولكن الواقع غير ذلك ، لأننى لم أكن أرى نفسى بعيني رأسى ، لقد كنت شخصين في جسد واحد ، فكنت أنظر لنفسي بعين الطبيب ، وشعرت بحنون الحب ، ولكن برغم هذا الدلال الذى أسرفت فيه قد كانت هناك آهة حبيسة تتردد في صدري وتئن كما تئن رياح الليل ، ولم أكن في ذلك الحين وحيدة ، بل كنت حين أسير أتطلع بعين

فأجابني في تهدي: « وهل تحسبن في الزواج سعادة أولدة؟ »
فانفجرت ضاحكة وقلت: لا، لا، لن يكون ذلك، وهل
هناك عرس لم توقد فيه المصابيح ولم تعزف الموسيقى؟
وظلمت أزعج أخى حتى أصدر أمره باحضار جماعة الموسيقى،
وكنت أبتسم طيلة الوقت، وأتحدث عن العروس وحياتها،
وما سأفعله حين تأتى المنزل. وسألته: خبرني يادكتور هل ستظل
تجس النبض؟ ثم انفجرت ضاحكة: وتم عقد الزواج في ساعة
متأخرة من الليل، وقبل ابتدائه كان أخى والطبيب قد جلسا إلى
خوان صغير يشربان كأساً من الخمر، ولما هتك القمر أسداف
الظلام، سألت الطبيب: « أنسيت عرسك وقد حان الوقت؟ »
ومضيت إلى صيدليته أنلمس فيها قليلاً من مسحوق وضعته في
كوبته حين كان مشغولاً عنها، وإذذاك رفعها الى فمه وتجرعها
دفعاً واحدة، ثم صوبت إلى نظرة اخترقت شغاف قلبي وقال:
الآن سأذهب الى حيث لا عودة لى أو مآب.

ولما صممت الموسيقى للراحة، مضيت إلى غرفتي وارتديت
ثياب عرسى الحريرية الموشاة بالذهب، وأخذت جواهرى كلها
ووضعت شارة العرس الحمراء على مفرق، ومن ثم هيات فراشى
تحت شجرة في الحديقة.

وكانت ليلة جميلة ناعمة، ورياح الشمال الهادئة تقبل ما تمر عليه
فتحمل الطمانينة الى القلوب، وقد فاح في أرجاء الحديقة عطر
الياسمين الشذى، وبينما الموسيقى آخذة في الهدوء شيئاً فشيئاً،
كان وجه القمر يلتحف حجب السحاب المغبر القاتم، وبدأت
أغيب عن الدنيا رويداً رويداً، وأفقد شعورى، وأغلقت عيني
مبتسمة، وتذكرت مجيء الناس ومشاهدتهم إياي هنا، ولكن
وأأسفاه على الملابس الحريرية المذهبة؛ وحين استيقظت على صوت
لفظ حولي، ألفت ثلاثة شبان يدرسون علم العظام على هيكلى،
فجاشت في نفسى الآلام، وأخذت زهرات الشباب تنفتح عن
أكامها، وإذا بالأستاذ يشير بعصاه الى عظامى مسمياً إياها بأسمائها
العلمية، ولكن أترى أثراً لهذه الابتسامة الأخيرة، وهل أعجبتك
القصة؟ فقلت يالها من قصة رائعة!

وفي هذه اللحظة رنت أول صيحة وقلت: « أنت هنا؟ »
فلم يجبني سوى الصدى، وحينذاك كانت أشعة الصباح قد نفدت
الى الحجرة ما

حسن محمد محمود

استدراك

فاتنا أن نذكر أن قصة الغفل الخدوع التي نشرناها في العدد الماضى
ترجمها كاتبها عن الانجليزية

كثيرة إلى أصابع قدى وأعجب ماذا تكون حالة الطبيب لو أنه
شاهدنى الآن، أما فى الظهيرة، حين تتوسط ذكاء كبد السماء،
ولا يسمع صوت هنا أو هناك إلا صيحة حدأة لا تلبث أن
تلاشى، فقد كان يمر خلف سور حديقتنا بائع الصقور ينادى
« صقور زجاجية للبيع » وحينذاك أبسط على العشب خرقة بيضاء
أجلس عليها وأعتمد رأسى بكفى، ويدي الأخرى تعبت
بالحشائش، وكنت أتحيل أن هناك من يرقبني فى مجلسى هذا
ويعجب بي، ويود لو أنه طبع قبلة على أطراف أصابعى الوردية...
ولكن كيف أتم لك قصتى، وفى استطاعتى أن أسامرك حتى
الصباح ولكن ذلك يفضها لك... إذن دعنى أظل فى قصتى، أما
الطبيب فحين مارس صناعته جيداً استأجر غرفة فى الدور الأرضى
بمنزلنا وجعلها عيادة للمرضى، وكنت أتسلى بسؤالى إياه عن
الأدوية والسموم والمقدار الذى يميت من هذا الدواء أو ذاك،
ولكن هذه الأحاديث أخذت طوراً آخر، فقد جعلتنى أتأمل فى
فكرة الموت، وكان الحب والموت شاغلي تفكيرى وحياتى

مضى على ذلك ربح من الزمن، لاحظت فيه على الطبيب
تشتت الذاكرة، وخيل إلى أنه يحتفظ فى صدره بسر يخجل
أن يحدثنى عنه، وفى ذات ليلة جاء مردياً كثيراً من
الملابس واستعار مركبة أخى، وهنا ثارت الدهشة فى نفسى، ومضيت
استفسره عن كل شيء، وبعد أن تجاذبت معه الحديث سألته:
ألك أن تخبرنى يا (دادا) عن وجهة الطبيب هذه الليلة وقد استعار
مركبتك؟... فأجابني أخى فى صوت أجش « الى الموت »
فصحت به « أخبرنى حقيقة أين هو ذاهب »... فقال فى شيء
من الصراحة « مضى ليتزوج » فتعالت ضحكاتى طويلاً وقلت:
أحقاً ما تقول؟

وعرفت حينذاك أن العروس وريثة ثرية، ستفجح الطبيب
مبلغاً كبيراً من المال، ولكن لماذا كان يخدعنى طيلة الوقت
باخفائه ذلك عني، وهل توسلت اليه ألا يتزوج حتى لا يحطم قلبي؟
ولكن تلك سجية الرجال طبعوا عليها فتصديقهم ضرب من
البلاهة، لقد عرفت فى حياتى كلها رجلاً واحداً، ولكنه
سرعان ما اختفى وتفقده فلم أجده.

وبعد أن أتم الطبيب عمله وعاد إلينا، وتنبهاً للعمل سألته
ضاحكة: لقد أحسنت يادكتور، أعزمت على الزواج هذه الليلة؟
ولم يفقده سرورى ابتسامة محياه فحسب، بل أثاره ذلك فسألته:
« ولم لم توقد الثريات ولم تعزف الموسيقى؟ »